



بسم الله الرحمن الرحيم

استشهاد الحسين

رضوان الله عليه

بين الحقائق والأوهام

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ..

هذا الفصل مستل من كتاب **الدولة الأموية** للدكتور علي محمد الصلابي ، رأينا نشره في هذه المناسبة " عاشورا " لتعم به الفائدة .

{ والదال على الخير كفاعله }

المبحث الثاني : خروج الحسين بن علي رضي الله عنه :
أولاً : اسمه ونسبه وشيء من فضائله :



هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وريحانته ومحبوبه، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة أربع للهجرة، ومات ورضي الله عنه قتيلاً شهيداً، في يوم عاشوراء من شهر المحرم سنة إحدى وستين هجرية بكر بلاء من أرض العراق فرضي الله عنه وأرضاه¹.

وقد وردت في مناقبه وفضائله أحاديث كثيرة منها:

1 - ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلي العامري رضي الله عنه أنه خرج مع رسول الله يعني إلى طعام دعوا له قال فاستمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم، وحسين مع غلمان يلعب فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذه فطفق الصبي يفر هنا مرة وهاهنا مرة، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه الأخرى تحت ذقنه ووضع فاه وقبله وقال: حسين مني وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط².

2 - ما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عمر قد سأله رجل من العراق عن المحرم يقتل الذباب فقال رضي الله عنه: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم: هما ريحانتي من الدنيا³.

3 - وروى أحمد بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة⁴ وغير ذلك من الأحاديث وفي النية أفراد كتاب مستقل عن أبي عبد الله الشهيد الحسين بن علي رضي الله عنهما بإذن الله تعالى.

ثانياً : الأسباب التي أدت إلى خروج الحسين والفتوى التي بنى عليها خروجه رضي الله عنه :

كان موقف الحسين من بيعة يزيد بن معاوية هو موقف المعارض وشاركه في المعارضة عبد الله بن الزبير والسبب في ذلك: حرصهما على مبدأ الشورى وأن يتولى الأمة أصلحها - وتلك الممانعة الشديدة من قبل الحسين وابن الزبير، قد عبرت عن نفسها بشكل عملي فيما بعد فالحسين رضي الله عنه كما مر معنا، كان معارضاً للصالح، والذي حمّله على قبوله هو متابعة أخيه الحسن بن علي ثم أن الحسين بن علي استمر على صلته بأهل الكوفة وقد

¹ سير أعلام النبلاء (2/280) الإصابة (1/331) - (334) .

² فضائل الصحابة للإمام أحمد (2/772) إسناده حسن .

³ البخاري رقم 3753 .

⁴ سنن الترمذي (5/656) حديث رقم 3768 صححه الألباني في الأحاديث الصحيحة (2/448) .



كان يعدهم بالمعارضة ولكن بعد وفاة معاوية، والدليل على ذلك أنه بمجرد وفاة معاوية سارع زعماء الكوفة بالكتابة إلى الحسين، وطلبوا منه المسير إليهم على وجه السرعة⁵ ومن الأسباب التي أدت إلى خروج الحسين رضي الله عنه:

1 - هو إرادة الله عز وجل وأن ما قدره سيكون وإن أجمع الناس كلهم على رده فسينفذه الله، لا راد لحكمه ولا لقضائه سبحانه وتعالى⁶.

2 - قلب الحكم من الشورى إلى الملك الوراثي: ومن الأسباب: ما كان من عدم المتزام معاوية بشروط الحسن في الصلح والتي من ضمنها ما ذكره ابن حجر الهيتمي:.. بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين⁷.

ورأى الحسين في محاولة معاوية توريث الحكم من بعده لابنه يزيد مخالفة واضحة لمنهج الإسلام في الحكم، ومع ذلك فإنه لم يهتم بالخروج على معاوية، نظراً لمبايعته له بالخلافة، فظل على عهده والتمتزامه⁸. ولكن بعد وفاة معاوية تغير الموقف، فالحسين لم يعد في عنقه بيعة توجب عليه السمع والطاعة، ويدل على ذلك محاولة والي المدينة الوليد بن عتبة أخذ البيعة من الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وخروجهما بعد ذلك إلى مكة دون أن يأخذ بيعتهما⁹.

إن موقف الحسين وفتواه ضد الحكم الأموي مرت بمرحلتين:
الأولى: مرحلة عدم البيعة ليزيد، وذهابه إلى مكة، وهذه المرحلة أسس فيها الحسين موقفه السياسي من حكم يزيد، بناء على نظريته الشرعية لحكم بني أمية، فهو يرى عدم جواز البيعة ليزيد، وذلك لسببين، فعلى الصعيد الشخصي فإن يزيد لا يصلح خليفة للمسلمين نظراً لانعدام توفر شرط العدالة فيه¹⁰، كما أن الحسين أفضل وأحق منه بمنصب الخلافة، فهو أكثر منه علماً، وصلاً وكفاءة وأكثر قبولاً لدى الناس من يزيد، أما الصعيد السياسي فلانعدام شرط الشورى، والاستئثار بالسلطة للحكم الأموي، والذي يخالف المنهج الإسلامي في الحكم. ولم يغب عن الحسين رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية¹¹، ولكن فهمه لهذا الحديث أنه في حق من كان صالحاً للخلافة وأهلاً لها وكان عن شورى المسلمين¹². وعدم مبايعة الحسين ليزيد كانت تعني عدم إعطاء

⁵ مواقف المعارضة ص 180 .

⁶ المصدر نفسه ص 240 .

⁷ الصواعق المرسله (2/299) .

⁸ أنساب الأشراف (3/152) ، مواقف المعارضة ص 180 .

⁹ مواقف المعارضة ص 180 .

¹⁰ الفقهاء والخلفاء، سلطان حثيلين ص 21 .

¹¹ مسلم رقم 1851 .

¹² الفقهاء والخلفاء ص 22 .



الشرعية للحكم الأموي وهو أمر كان الأمويين يحرصون عليه أشد الحرص وقد كتب يزيد إلى واليه في المدينة بأخذ البيعة من الحسين وابن عمر وابن الزبير، وأن يأخذهم بالشدة حتى يبايعوا¹³، وفي نفس الوقت فإن عدم البيعة يسهل له حرية العمل السياسي واتخاذ القرار الذي يراه مناسباً لمقاومة الحكم الأموي.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة العمل على مقاومة الحكم الأموي وطرح نفسه بديلاً للسلطة الأموية في دمشق، وهو ما يعبر عنها الفقهاء بالخروج على الإمام. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الحسين قد مكث في مكة بضعة أشهر قبل خروجه إلى العراق فقد قدم إلى مكة في الثالث من شعبان سنة 60هـ للهجرة، وخرج إلى العراق في الثامن من ذي الحجة من نفس السنة¹⁴. وفي هذه الفترة كان رضي الله عنه يرأس أهل العراق، وتقدم إليه الوفود، حتى رأى أنه لا بد من مقاومة الظلم وإزالة المنكر وأن هذا أمر واجب عليه، وكانت شيعته بالعراق على اتصال به وتمت بينهم مراسلات¹⁵، وقد وصل الحسين بن علي إلى قنعة راسخة وبنى قراره السياسي على فتوى اقتنع بها في مقاومته للحكم الأموي، فهو يرى أن بني أمية لم يلتزموا حدود الله في الحكم، وخالفوا منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وبني الحسين رضي الله عنه فتواه بتسلسل منطقي شرعي، فاستبداد بني أمية، والشك في كفاءة وعدالة يزيد، توجب عدم البيعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على علماء الأمة، ومن أكبر المنكر حكم بني أمية واستبدادهم، وبما أن الحسين ليس في عنقه بيعة، وهو أحد علماء الأمة وسادتها، فهو أحق الناس بتغيير هذا المنكر، وعلى ذلك فليس موقفه خروجاً على الإمام، بل هو تغيير المنكر، ومقاومة للباطل، وإعادة الحكم إلى مساره الإسلامي الصحيح¹⁶، ومما يدل على حرص الحسين رضي الله عنه على أن تكون فتواه وتحركاته السياسية في مقاومته للحكم الأموي متماشية مع تعاليم الإسلام وقواعده، امتناعه عن البقاء في مكة عندما عزم على مقاومة يزيد حتى لا تستحل حرمتها وتكون مسرحاً للقتال وسفك الدماء، فيقول لابن عباس: لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من أن أقتل بمكة وتستحل بي¹⁷.

¹³ تاريخ الطبري (6/259).

¹⁴ تاريخ الطبري (6/304)، البداية والنهاية (11/494).

¹⁵ تاريخ الطبري (6/273، 274).

¹⁶ الفقهاء والخلفاء ص 23.

¹⁷ تاريخ الطبري نقلاً عن الخلفاء ص 25.



ثالثاً: عزم الحسين علي الخروج إلى الكوفة ونصائح الصحابة والتابعين ورأيهم في خروج الحسين إلى الكوفة:

1 - عزم الحسين على الخروج إلى الكوفة:

بعد توافد الرسائل من زعماء الكوفة على الحسين رضي الله عنه والتي تطلب منه المشاركة في القدوم إليهم، ولما كان العدد مشجعاً أراد أن يطلع على حقيقة الأمر، فبعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليستجلي له حقيقة الخبر، ثم يكتب إليه بواقع الحال، فإن كان ما يقولون حقاً قدم عليهم¹⁸، خرج مسلم بن عقيل بصحبة عبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي، وقيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبيد السلولي فلما وصل مسلم المدينة أخذ معه دليلين، وفي الطريق إلى الكوفة تاهوا في البرية ومات أحد الدليلين عطشاً، وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه، وذلك بسبب إحساسه النفسي لمدى الصعوبات التي تنتظره في الكوفة، ولكن الحسين رفض طلبه، وأمره بمواصلة المسير نحو الكوفة¹⁹، ولما وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة نزل عند المختار بن أبي عبيد²⁰ في أول قدومه فلما جاء ابن زياد وتولى إمارة الكوفة، وأخذ يشدد على الناس انتقل مسلم عند هانيء بن عروة وذلك خشية انكشاف أمره ثم لمكانة هانيء وأهميته كأحد أعيان الكوفة، ولما بدا الشك يساور ابن زياد من هانيء بن عروة خشى مسلم بن عقيل على نفسه، وانتقل أخيراً ولفترة قصيرة جداً عند مسلم بن عوسجة الأسدي أحد دعاة الشيعة²¹، ولما بلغ أهل الكوفة قدوم مسلم بن عقيل قدموا إليه فبايعه اثنا عشر ألف²²، وتمت تلك المبايعة بصورة سرية مع تحرص شديد، ولما تأكد لمسلم بن عقيل رغبة أهل الكوفة في الحسين و قدومه إليهم كتب إلى الحسين أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله إن جميع أهل الكوفة معك فأقبل حين تنظر في كتابي²³، وهنا تأكد للحسين صدق نوايا أهل الكوفة وأنه ليس عليهم إمام كما ذكروا من قبل²⁴، فلا بد في هذه الحالة أن يفي لهم بما وعدهم به، حين كتب إلى أهل الكوفة: وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم، فإذا كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملتكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل

¹⁸ تاريخ الطبري (6/267) .

¹⁹ تاريخ الطبري (6/267) .

²⁰ تاريخ الطبري (6/276) .

²¹ تاريخ الطبري (6/283 ، 284) .

²² تهذيب الكمال (2/301) مواقف المعرضة ص 232 .

²³ أنساب الأشراف (3/167) .

²⁴ تاريخ الطبري (6/272) .



ما قدمت به رسلكم وقرآته في كتبكم، أقدم عليكم إن شاء الله²⁵، فلما وصل إلى الحسن بن علي كتاب مسلم بن عقيل والذي طلب منه القدوم إلى الكوفة وأن الأمر مهياً لقدمه تجهز الحسين بن علي وعزم على المضي إلى الكوفة بأهله وخاصته²⁶.

2 - مواقف الصحابة والتابعين من خروج الحسين:

أ - محمد بن الحنفية: لما بلغ محمد بن الحنفية عزم أخيه الحسين على الخروج إلى الكوفة قدم عليه وقال: يا أخي أنت أحب الناس إلي، وأعزهم علي، ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنح بيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم أبعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فإن بايعوا لك حمدن الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ويذهب به مروءتك ولا فضلك أني أخاف أن تدخل مصرًا من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخري عليك فيقتلون فتكون لأول الأسنه، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً، وأباً، وأمّاً، أضيعها دمياً، وأذلها أهلاً فقال الحسين: فإني ذاهب يا أخي، قال: فانزل مكة فإذا أطمأنت بك الدار فسبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنتظر إلى ما يصير أمر الناس وتعرف عند ذلك الرأي فإنك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً قال: يا أخي قد نصحت فأشفت وأرجوا أن يكون رأيك سديداً²⁷ وجاء في رواية:.. فإن الحسين حين عزم على الخروج بعث إلى بني عبد المطلب في المدينة يدعوهم للخروج معه، فقدم عليه من خف منهم، وتبعهم محمد بن الحنفية فأدرك الحسين بمكة فأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا، فأبى الحسين أن يقبل في نفسه على أخيه محمد وقال: ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه؟ فقال محمد وما حاجتي أن تصاب ويصابون معك، وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم²⁸.

ب - عبد الله بن عباس رضي الله عنه: ولما بلغ خبر عزمه على الخروج إلى ابن عمه عبد الله بن عباس أتاه وقال: يا ابن عم أنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع؟ قال: قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: أخبرني إن كان عدوك بعد ما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم، وإن كان أميرهم حي وهو مقيم عليهم، قاهر لهم وعماله تجبي بلادهم فإنهم إنما

²⁵ المصدر نفسه (6/274).

²⁶ المصدر نفسه (6/305).

²⁷ أنساب الأشراف (4/15 - 16).

²⁸ الطبقات (1/451) تحقيق السلمي.



دعوك للفتنة والقتال، ولا آمن عليك أن يستفزوا عليك الناس ويقلبوا قلوبهم عليك، فيكون الذي دعوك أشد الناس عليك. فقال الحسين إني استخير الله وأنظر ما يكون. ولكن ابن عباس أدرك من كلام الحسين واستعداده أنه عازم على الخروج ولكنه يحاول إخفاء الأمر عنه لعلمه بعدم رضاه عن ذلك، لذا جاء ابن عباس إلى الحسين من الغد فقال: يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر، وإني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك، أن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم، وإلا فسر إلى اليمن فإن به حصوناً وشعباً، ولأبيك به شيعة، وكن عن الناس بمعزل، واكتب إليهم وبث دعواتك فيهم، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب. فقال الحسين: يا ابن عم! والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكنني قد أزمعت المسير. فقال له: فإن كنت ولا بد سائراً فلا تسرباً وولادك ونسائك، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه، إلى أن قال: فوالله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علي وعليك الناس أطعنتي واقمت لفعلت ذلك²⁹. وهكذا نجد أن محاولات ابن عباس لم تجد في إقناع الحسين على الرغم من أنه أظهر له - لما علم تصميمه على عدم رضاه بيزيد وضرورة العمل على تغييره - أنه لا يقف عند فكرة الحسين تماماً، ولكنه يوضح له عوامل فشل ما هو سائر لتحقيقه، ويطرح له البدائل التي ربما تكون أقرب لتحقيق ما يصبو إليه، وذلك بالانتظار حتى يقوم أهل العراق بالسيطرة التامة على إقليمهم ويحرروه من سلطان بني أمية وهو يدرك أنهم عاجزون عن ذلك فبالتالي هم عاجزون عن حماية الحسين أو أن يذهب إلى اليمن ويعمل بما أرشده إليه فإن عوامل النجاح فيه أكثر وعوامل الفشل فيه أقل من رحيله إلى العراق ولعل ابن عباس قد لا يريد للحسين لا هذا ولا ذاك ولكن أراد تأخير الحسين عن اتخاذ تلك الخطوة السريعة بخروجه إلى العراق والتي لا ينفع معها تدارك الأمر، أما لو اقتنع برأي ابن عباس من الانتظار حتى يتهيا له الأمر في العراق، أو يعدل عنه إلى اليمن وهذا سياخذ وقتاً طويلاً لترتيب الأمور هناك، وبهذا أو ذاك فإنه يمكن أن يكون لعامل الوقت أثر في حل الوضع وإطفاء الفتنة³⁰. ويفهم من كلام ابن عباس بأنه لا يخالف الحسين في خروجه على يزيد من الناحية الشرعية، ولكن كان يخالفه من الناحية الاستراتيجية فكان يرى ألا يخرج الحسين للعراق حتى يتأكد من قوة شيعته وأنصاره هناك، وأن الأمويين لم يعد لهم نفوذ، وإلا فإن اليمن بعيدة عن النفوذ الأموي وله فيها أنصار، وبها أماكن كثيرة للتخفي، حتى يتمكن من جمع القوى الكافية لمقاومة الأمويين³¹.

²⁹ الكامل في التاريخ (2/546).

³⁰ أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية ص 475.

³¹ الفقهاء والخلفاء ص 25.



ت - عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فقد نصح الحسين رضي الله عنه في أكثر من موقف، فحين بلغه خروج ابن الزبير والحسين إلى مكة رافضين بيعة يزيد لقيهما وقال: أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس وتنظران، فإن اجتمع عليه الناس لم تشذا، وإن افترق عليه كان الذي تريدان³²، ولما قدم المدينة وبلغه خروج الحسين لأهل الكوفة لحقه ابن عمر على مسيرة ليلتين فقال: أين تريد؟ قال: العراق، ومعه طوامير وكتب، فقال: لا تأتهم قال: هذه كتبهم وبيعتهم. فقال: إن الله خير نبيه بين الدنيا والآخرة، فاختر الآخرة، وإنكم بضعة منه، لا يليها أحد منكم أبداً، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم، فارجعوا فأبى، فاعتنقه ابن عمر، وقال: استودعك الله من قتيل³³. وكان ابن عمر يقول بعد ذلك: غلبنا الحسين بن علي بالخروج، ولعمري لقد رأيت في أبيه وأخيه عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له ألا يتحرك ما عاش وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس، فإن الجماعة خير³⁴.

ج - عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: اتهمته بعض الروايات الضعيفة أنه أحد المتسببين في إقناع الحسين بالخروج إلى الكوفة هو نفسه ثبت عنه بأنه قد أسدى النصائح للحسين، وحذره من مغبة مغادرة مكة والذهاب إلى الكوفة وقد نصح الحسين قائلاً: أين تذهب إلي قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك، فقال له الحسين إن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من أن تستحل بي - يعني مكة³⁵...

وقد نظر بعض الصحابة إلى العمل الذي سيقدم عليه الحسين بأنه في حقيقته خروج على الإمام صاحب البيعة، كما نظروا إلى خروج الحسين وما يحمله خروجه على أنه نذر شر وبلاء على الأمة مهما كانت النتائج لأي من الطرفين³⁶ منهم:

ح - أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: حيث قال: غلبني الحسين على الخروج وقد قلت له: اتق الله في نفسك والزم بيتك، ولا تخرج على إمامك³⁷.

خ - وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كلمت حسيناً فقلت له اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض فوالله ما حمدتم ما صنعتم

³² الطبقات الكبرى تحقيق السلمي (1/444).

³³ سير أعلام النبلاء (3/292).

³⁴ مختصر تاريخ دمشق (7/138).

³⁵ مصنف ابن أبي شيبة (15/95) بسند حسن.

³⁶ مواقف المعارضة في خلافة يزيد ص 236.

³⁷ تهذيب الكمال (6/461)، الطبقات (1/445) تحقيق السلمي.



فعصاني³⁸ ولم تتوقف المحاولات الهادفة بين الحسين وبين خروجه إلى الكوفة فكتب إليه ابن جعفر:

ر - عبد الله بن جعفر رضي الله عنه: كتب إلى الحسين وأرسل كتابه مع ابنه محمد وعون: أما بعد، فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي، فإني مشفق عليك من الوجه التي توجهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك³⁹، ولكن الحسين رفض الرجوع وهنا ظن عبد الله بن جعفر أن سبب خروج الحسين هو خوفه من الموالي عمرو بن سعيد بن العاص، فذهب إلى عمرو بن سعيد بن العاص وطلب منه أن يكتب كتاباً إلى الحسين يؤمنه فيه ويعدده بالخير، وكان رد عمرو بن سعيد أن قال لعبد الله بن جعفر: اكتب ما شئت واثت به أخته⁴⁰. فكتب ابن جعفر " بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي، أما بعد، فإني أسأل الله أن يصرفك عما يبوقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغني أنك قد توجهت إلى العراق، وإني أعيدك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر، ويحي بن سعيد، فأقبل إليّ معهما، فإن لك عندي الأمان والمبر والصلة وحسن الجوار لك، والله بذلك شهيد وكفيل، ومرع ووكيل، والسلام عليك⁴¹، ولكن الحسين رضي الله عنه رفض هذا الرجاء أيضاً وواصل مسيره.

ز - أبو واقد الليثي رضي الله عنه: فقد روي عنه أنه قال: بلغني خروج الحسين، فأدرسته بملل، فناشدته الله ألا يخرج، فإنه يخرج في غير وجه خروج، إنما يقتل نفسه، فقال: لا أرجع⁴².

د - عمرة بنت عبد الرحمن: فقد كتبت إليه تعظّم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمّره بالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره أنه إنما يساق إلى مصرعه⁴³.

ذ - أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث: يا ابن عمّ إن الرحم تطأرنى⁴⁴ عليك وما أدري كيف أنا عندك في النصيحة لك؟ قال: يا أبا بكر ما أنت ممن يُستغشّ ولا يُتَّهم، فقل. قال: قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك، وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره فأذكرك الله في نفسك.

³⁸ الطبقات الكبرى (1/445) تحقيق الشُّلبي .

³⁹ تاريخ الطبري (6/311) .

⁴⁰ المصدر نفسه (6/311) .

⁴¹ المصدر نفسه (6/312) .

⁴² مختصر تاريخ دمشق (7/139) .

⁴³ المصدر نفسه (7/140) .

⁴⁴ تطأرنى : تعطفني عليك .



فقال: جزاك الله يا ابن عمِّ خيراً، ومهما يقضي الله من أمر يكن. فقال أبو بكر: إنا لله عند الله نحتسب أبا عبد الله⁴⁵.

س - عبد الله بن مطيع فقد قال: إني فداك أبي وأمي! متعنا بنفسك، ولا تسر إلى العراق، فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخذنا حولا وعبيداً⁴⁶.

ش - سعيد بن المسيب: فقد نقل عنه الذهبي أنه قال: لو أن الحسين لم يخرج لكان خيراً له⁴⁷.

ك - عمرو بن سعيد بن العاص: فقد كتب إليه يقول: إني أسأل الله أن يلهمك رشداً وأن يصرفك كما يريدك، بلغني أنك قد اعتزمت على لشخوص إلى العراق، فإني أعيدك بالله من الشقاق⁴⁸.

و - الفرزدق: فقد لقيه بالصفاح⁴⁹، فسأله الحسين عما وراءه فقال: أنت أحب الناس إلى الناس، والقضاء في السماء، والسيوف مع بني أمية⁵⁰. وفي خبر آخر قال أنه قال: قلت له: يخذلونك، لا تذهب إليهم فلم يطعني⁵¹.

هذه أقوال الصحابة والتابعين في موقفهم من خروج الحسين، وهذه فلسفتهم في هذه القضية، الهامة، فهم لم يبايعوا يزيد لأنهم يرونه أفضل من غيره من الصحابة والتابعين، ولكنهم فعلوا ذلك درءاً لمفسدة التفرق والاختلاف بين المسلمين، ودليل ذلك ما رواه خليفة بن خياط وابن سعد، عن داود بن عبد الله الأودي، عن حميد بن عبد الرحمن قال: دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين استخلف يزيد بن معاوية، فقال: أتقولون إن يزيد ليس بخير أمة محمد، لا أفقه منها فقهاً، ولا أعظمها فيها شرفاً؟ قلنا. نعم. قال: وأنا أقول ذلك، ولكن - والله - لأن تجتمع أمة محمد أحب إليّ من أن تفترق أرايتم باباً لو دخل فيه أمة محمد وسعهم، أكان يعجز عن رجل واحد لو دخل فيه؟ قلنا: لا. قال: أرايتم لو أن أمة محمد قال كل رجل منهم: لا أهريق دم أخي، ولا آخذ ماله، أكان هذا يسعهم؟ قلنا: نعم. قال: فذلك ما أقول لكم⁵²، ومن الملاحظ إجماع كل من نصح الحسين - حتى من لم ير بأساً برفضه البيعة - على أن لا يخرج للعراق ولا يثق في أهل الكوفة، فقد كتب إليه المسور بن مخرمة رضي الله عنه بأن لا يغتر بكتب أهل العراق، ونصحه بأن لا يبرح الحرم فإن كانت لهم حاجة فسيضربون إليه

⁴⁵ البداية والنهاية (11/504).

⁴⁶ مختصر تاريخ دمشق (7/139).

⁴⁷ سير أعلام النبلاء (3/296).

⁴⁸ تاريخ دمشق (14/209) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص 212.

⁴⁹ موضع بين حنين وأنصاب الحرم، على يسرة الداخل إلى مكة من مشاش.

⁵⁰ مختصر تاريخ دمشق (7/144).

⁵¹ تاريخ دمشق (14/214).

⁵² الطبقات (7/147)، تاريخ خليفة ص 164.



آباط الإبل حتى يوافوه فيخرج في قوة وعدة⁵³. ومما يلفت الانتباه - زيادة على إجماع الناصحين للحسين على خيانة أهل الكوفة ووجوب عدم الثقة بوعودهم - كذلك يلفت الانتباه إجماعهم في توقعهم لمقتل الحسين كما يبدو ذلك من أسفهم عليه وكلمات التوديع له. وما ذلك إلا دليل على معرفة أولئك الناصحين من العلماء بالأوضاع، ووعيهم لما سبق من أحداث جرت إبان الفتنة بين علي ومعاوية عرفوا من خلالها الدوافع والأهواء التي تدفع ببعض الأقسام للاستفادة من إثارة الإحن ودوام الفتن⁵⁴.

رابعاً : موقف يزيد من أحداث الكوفة:

لما تأكد ليزيد تصميم الحسين على الاستجابة لدعوة أهل الكوفة، كتب لابن عباس لأنه شيخ بني هاشم في عصره وعالم المسلمين قائلاً، ونحسب أن رجالاً أتوه من المشرق فمئوه الخلافة، فإنهم عندك منهم خبرة وتجربة، فإن كان فعل فقد قطع وشائج القرابة وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه، فاكففه عن السعي في الفرقة⁵⁵ ثم كتب بهذه الأبيات إليه وإلى مكة والمدينة من قريش:

يا أيها الراكب الغادي لطيته
على عُدَاقِرَةٍ في سيرها قحم
أبلغ قريشاً على نأي المزار بها
بيني وبين حسين الله والرحم

إلى أن قال:

يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ خمدت
وأمسكوا بجبال السلم واعتصموا
لا تركبوا البغي إن البغي مصرعه
وإن شارب كأس البغي يتخم
فقد غرّت الحرب من كان قبلكم
من القرون وقد بادت بها الأمم
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً
قرب ذي بذخ زلت به القدم⁵⁶

⁵³ مختصر تاريخ دمشق (7/140).

⁵⁴ أثر العلم في الحياة السياسية ص 481.

⁵⁵ تهذيب الكمال (6/419) مواقف المعارضة ص 243.

⁵⁶ البداية والنهاية (11/505).



فكتب إليه ابن عباس: إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه، ولست أدع النصيحة له في كل ما يجمع الله به الألفة وتطفي بها الثائرة⁵⁷. وفي تلك الأثناء كانت الأحداث تتسارع، وذلك بعدما أخذ الشيعة يختلفون على مسلم بن عقيل وبياعونه وعندما أحس النعمان بن بشير الأنصاري والي الكوفة بخطورة الوضع قام فخطب في الناس وقال: اتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة فإن فيها يهلك الرجال، وتسفك الدماء وتغصب الأموال وقال: إني لم أقتل من لم يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب علي، لا أشاتمكم ولا أتحرش بكم، ولا أخذ بالقرف ولا الظنة والتهمة، ولكن إن أبديتكم صفحتكم لي، ونكتتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولو لم يكن لي منكم ناصر، أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل⁵⁸.

وأشارت سياسة النعمان بن بشير رضي الله عنه مع أنصار الحسين حفيظة الناصحين للأمويين، وأحد الموالين لهم في الكوفة وهو عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي، حليف بني أمية، فقام إلى النعمان بن بشير وبين له أن طريقته هذه إنما هي طريقة المستضعفين وأنه يجب عليه أن ينهج سياسة البطش والقوة حيال المتربصين بأمن الكوفة، ولكن رد النعمان بن بشير رضي الله عنه كان واضحاً بأنه يراقب الله في سياسته⁵⁹.

ولم تعجب يزيد سياسة النعمان فعزله من ولاية الكوفة وعين بدله عبيد الله بن زياد وكتب إليه: إن شيعتي من أهل الكوفة كتبوا إليّ يخبروني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة، حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام⁶⁰، وغادر ابن زياد البصرة بعد أن اتخذ عدة احتياطات خوفاً من حدوث اضطرابات وأتاب عنه أخوه عثمان بن زياد على البصرة⁶¹ ثم خرج من البصرة ومعه وجوه أهل البصرة أمثال مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته⁶². وأقبل ابن زياد إلى الكوفة ودخلها مثلثاً والناس قد بلغهم إقبال الحسين إليهم، فهم ينظرون قدومه، فظنوا حين قدم عبيد الله أنه الحسين بن علي، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم، فلما أكثروا عليه صاح فيهم مسلم بن عمرو وقال: تأخروا هذا الأمير عبيد الله بن زياد فلما نزل في القصر نودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس فخرج إليهم

⁵⁷ سير أعلام النبلاء (3/304) مواقف المعارضة ص 344.

⁵⁸ تاريخ الطبري (6/277).

⁵⁹ المصدر نفسه (6/277).

⁶⁰ المصدر نفسه (6/278).

⁶¹ تاريخ الطبري (6/279).

⁶² تاريخ الطبري (6/279).



ثم خطبهم ووعد من أطاع منهم خيراً وتوعد من خالف وحاول الفتنة منهم شراً⁶³.

خامساً : عبيد الله بن زياد وخطواته للقضاء على مسلم بن عقيل وأنصاره:

1 - اختراق تنظيم مسلم بن عقيل:

حرص عبيد الله بن زياد على جمع المعلومات بواسطة جواسيسه على الفئات المعارضة واستطاع أن يخترق أتباع مسلم بن عقيل وقد كلف أحد رجاله بهذه المهمة فأعطاه مبلغاً من المال وكان الرجل من أهل الشام يقال له معقلًا وكان مقدار المبلغ ثلاثة آلاف درهم وقال: خذ هذا المال، وانطلق فالتمس مسلم بن عقيل، وتأث له بغاية التأني⁶⁴، فانطلق الرجل حتى دخل المسجد الأعظم، ثم نظر إلى رجل يكثر الصلاة إلى سارية من سواري المسجد، فجلس الرجل حتى إذا انفتل⁶⁵ من صلاته، فدنا منه وجلس، فقال: جعلت فداك إني رجل من أهل الشام مولى لذي الكلاع، وقد أنعم الله علي بحب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب من أحبهم، ومعني هذه الثلاثة الآلاف درهم، أحب إيصالها إلى رجل منهم، بلغني أنه قدم هذا المصير داعية للحسين بن علي، فهل تدلني عليه لأوصل هذا المال إليه؟ ليستعين به على بعض أموره ويضعه حيث أحب من شيعته قال له الرجل: وكيف قصدتني بالسؤال عن ذلك دون غيري ممن هو في المسجد قال: لأنني رأيت عليك سيما⁶⁶ الخير فرجوت أن تكون ممن يتولى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال له الرجل: ويحك قد وقعت عليّ بعينك، أنا رجل من إخوانك، واسمي مسلم بن عوسجة، وقد سُررت بكِ وساءني ما كان من حسي قبلك فإني رجل من شيعة أهل هذا البيت، خوفاً من هذا الطاغية ابن زياد، فأعطني ذمة الله وعهده أن تكتم هذا عن جميع الناس فأعطاه من ذلك ما أراد، واستطاع الشامي في نهاية المطاف الوصول إلى مسلم بن عقيل، فكان يغدو إلى مسلم بن عقيل فلا يحجب⁶⁷ عنه، فيكون نهاره كله عنده فيتعرّف جميع أخبارهم، فإذا أمسى وأظلم عليه الليل دخل على عبيد الله بن زياد، فأخبره بجميع قصصهم، وما قالوا وما فعلوا في ذلك، وأعلمه نزول مسلم بن

⁶³ تاريخ الطبري (6/280).

⁶⁴ الثاني: التهيؤ والتسهل.

⁶⁵ انفتل من الصلاة: لوى وجهه أي ختم صلاته.

⁶⁶ سيما الخير: سمته وعلامته.

⁶⁷ حجب عنه: منع من رؤيته.



عقيل في دار هاني بن عروة⁶⁸. وهكذا استطاع ابن زياد أن يعرف أخبار مسلم بن عقيل وتحركاته⁶⁹.

2 - سجن هانيء بن عروة:

كان محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة يدخلون على ابن زياد مُسَلِّمين، فقال لهما: ما فعل هانيء بن عروة؟ فقالا أيها الأمير، إنه عليل⁷⁰ منذ أيام فقال ابن زياد: وكيف. بلغني أنه يجلس على باب داره عامّة نهاره، فما يمنعه من إتياننا وما يجب عليه في حق التسليم؟ قالوا: سنعلمه ذلك، ونخبره باستبطائك إياه فخرجنا من عنده، وأقبلا حتى دخل على هانيء بن عروة، فأخبراه بما قال لهما ابن زياد، وما قال له، ثم قال له: اقسمننا عليك إلا قمت معنا إليه الساعة لتُسلَّ سخيمة⁷¹ قلبه. فدعا ببغلة فركبها ومضى معهما، حتى إذا دنا من قصر الإمارة خبثت⁷² نفسه فقال لهما: إن قلبي قد أوجس⁷³ من هذا الرجل خيفة. قالوا: ولم تحدث نفسك بالخوف وأنت بريء الساحة؟

فمضى معهما حتى دخلوا على ابن زياد، فأنشأ ابن زياد يقول متمثلاً:
أريد حياته ويريد قتلي

عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيكَ مِنْ مَراد

قال: هانيء وما ذاك أيها الأمير؟

قال ابن زياد: وما يكون أعظم من مجيئك بمسلم بن عقيل وإدخالك إياه منزلك، وجمعك له الرجال ليباعوه؟ فقال هانيء: ما فعلت وما أعرف من هذا شيئاً فدعا ابن زياد بالشامي، وقال: يا غلام، ادع لي معقلاً. فدخل عليهم. فقال: ابن زياد لهانيء بن عروة: أتعرف هذا؟ فلما رآه علم أنه إنما كان عيناً عليهم. فقال هانيء: أصدُقُك والله أيها الأمير، وإني والله ما دعوت مسلم بن عقيل وما شعرت به، ثم قصّ عليه قصّته على وجهها. ثم قال: فأما الآن فأنا مخرجه من داري لينطلق حيث يشاء، وأعطيك عهد وثيقاً أن أرجع إليك. قال ابن زياد " لا والله لا تفارقني حتى تأتيني به. فقال هانيء: أو يجمل بي أن أسلم ضيفي وجاري للقتل والله لا أفعل ذلك أبداً. فاعترضه ابن زياد بالخيزرانة، فضرب وجهه، وهشم⁷⁴ أنفه، وكسر حاجبه، وأمر به فأدخل بيتاً⁷⁵.

⁶⁸ الأخبار الطوال ص 218 تاريخ الطبري (6/284).

⁶⁹ تاريخ الطبري (6/284).

⁷⁰ عليل: مريض.

⁷¹ سخيمة القلب: حقد الدفين.

⁷² خبث: صارت خبيثة، أي رديئة مأكرة.

⁷³ أوجس خيفة: أحس بالخوف، فزع.

⁷⁴ هشم أنفه: حطمه.

⁷⁵ الأخبار الطوال ص 219، تاريخ الطبري (6/288).



فبلغ الخبر عمرو بن الحجاج الزبيدي أن هانثاً قد قتل، فأقبل في قبيلة مذحج، وأحاط بالقصر، ونادى بأنه لم يخلع الطاعة، وإنما أراد الاطمئنان إلى سلامة هانيء، فأمر ابن زياد القاضي شريح بأن يدخل على هانيء، وينظر إليه ويخبرهم أنه حي. ففعل⁷⁶. فقال لهم سيدهم عمرو بن الحجاج: أما إذا كان صاحبكم حياً فما يعجلكم الفتنة؟ انصرفوا فانصرف.

3 - استخدام ابن زياد للأشراف للقضاء على تمرد الكوفة:

لما بلغ مسلم بن عقيل خبر ضرب وجه هانيء بن عروة، أمر أن ينادي في أصحابه الذين بايعوه، واستخدم كلمة السر وهي: يا منصور أمت، فتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه وكان عدد الذين حصروا أربعة آلاف رجل⁷⁷، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كنده وربيعه، وأمره أن يسير أمامه بالخيل، ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد وأمره على الرجالة، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان، وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة، ثم قدم نحو القصر، ولما بلغ ابن زياد إقباله تحرّز وتمنّع بالقصر⁷⁸، وكان ابن زياد يملك قدراً كبيراً من الدهاء والمكر والخداع، حيث أنه بمجرد دخوله القصر جمع وجوه الكوفة واحتفظ بهم عنده حتى يكونوا وسيلة ضغط مهمة عنده ستثمر عن نتائج إيجابية جداً لصالح ابن زياد⁷⁹. وتقدم مسلم بهذه الجموع، صوب قصر الإمارة التي يتحصن بها ابن زياد، وهنا طلب ابن زياد من أشراف الناس وزعماء الكوفة الذين معه أن يعظوا الناس ويخذلوهم ويخوفونهم بقرب أهل الشام وصار هؤلاء الأمراء والزعماء يثبطون الناس، ويذكرونهم بالسلامة والأمن، وأنهم إن لم ينصرفوا سيحرمون من العطاء، وسيساقون إلى الثغور وسينالهم العقاب الشديد⁸⁰، ولم يكن التثييط مقصوداً على الأمراء فقط، بل إن النساء كان لهن دوراً كبيراً في إضعاف عزيمة المناصرين لمسلم، إضافة إلى الآباء وكبار السن فقد كان لهم نفس الدور. وكانت المرأة تأتي أبنها وأخاها وتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه ويقول غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر انصرف⁸¹. وأخذت هذه الحرب النفسية التي جوبه بها المؤيدون لمسلم بن عقيل من التهويل والتخويف تعمل عملها بين صفوف الناس، فبدأوا ينصرفون عن مسلم بن عقيل وأخذ العدد يتضاءل سريعاً حتى أنه لما قرب المساء لم يبقى مع مسلم

⁷⁶ المصدر نفسه ص 219 .

⁷⁷ تاريخ الطبري (6/289) .

⁷⁸ تاريخ الطبري (6/291) .

⁷⁹ مواقف المعارضة ص 255 .

⁸⁰ تاريخ الطبري (6/293) .

⁸¹ المصدر نفسه (6/293) .



بن عقيل إلا عدداً بسيطاً يتراوح بين الثلاثمائة والخمسمائة رجل⁸²، وكان غالبية الذين بقوا مع مسلم بن عقيل من مذبح فامر ابن زياد، عبيد الله بن كثير بن شهاب الحارثي أن يخرج فيمن أطاعه من مذبح ويسير بالكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل، ويخوفهم بالحرب وعقوبة السلطان⁸³، ثم أمر ابن زياد محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كنده وحضرموت ويرفع راية الأمان لمن ياتيه من الناس وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور المذهلي، وشبت بن ربعي التميمي وحجار بن أبحر العجلي، وشمر بن ذي الجوشن العامري، وأبقى سائر وجوه الناس معه⁸⁴ وأمام هذه الإجراءات السريعة من ابن زياد، وأمام الشد النفسي الذي نازع غالبية من انضموا إلى مسلم بن عقيل أخذ هذا العدد يتضاءل حتى وصل إلى ستين رجلاً⁸⁵، ثم حدثت معركة بين مسلم وأتباعه وبين ابن الأشعث، والقعقاع بن شور، وثبت بن ربعي عند الرحبة، ويبدو أن هذه المعركة لم تدم طويلاً عندما تنبه القعقاع بن شور إلى أن المقاتلين إنما يقاتلون لأجل النجاة، عند ذلك أمر بإفساح الطريق لهم، فهربوا نحو المسجد، ولما أمسى المساء تفرق الناس، وبقي مسلم بن عقيل وحيداً في طرقات الكوفة⁸⁶.

4 - القبض على مسلم بن عقيل وقتله:

أصبح مسلم بن عقيل وحيداً يتردد في طرق الكوفة، فأتى بيتاً فخرجت إليه امرأة، فقال: اسقني، فسقته، ثم دخلت، ومكثت ما شاء الله، ثم خرجت، فإذا به على الباب، فقالت: يا هذا، إن مجلسك مجلس ريبة، فقم، فقال: أنا مسلم بن عقيل، فهل عندك مأوى؟ قالت: نعم فادخلته، وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فانطلق إلى مولاه فأعلمه، فبعث عبيد الله الشَّرَط إلى مسلم، فخرج وسل سيفه، وقاتل فأعطاه ابن الأشعث أماناً فسلم نفسه⁸⁷، وفي الطريق نحو ابن زياد بكى مسلم ف قيل له: إن من يطلب مثل ما تطلب لا يبكي إذا نزل به مثل الذي نزل بك. قال: إني والله ما لنفسي أبكي ومالها من القتل أرثي وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً، ولكني أبكي لأهلي المقبلين إلى الكوفة، أبكي حسيناً وآل الحسين. وأقبل مسلم على محمد بن الأشعث فقال: يا عبد الله، إني والله أراك ستعجز عن أمانتي، فهل عندك خير تستطيع أن تبعث رجلاً عليّ لساني يبلغ حسيناً عني رسالة؟ فإني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم أو غداً هو وأهل بيته، وإن ما تراه من جزعي لذلك، فتقول: إن ابن عقيل بعثني إليك وهو في أيدي القوم أسير

⁸² المصدر نفسه (6/293) .

⁸³ المصدر نفسه (6/291) .

⁸⁴ تاريخ الطبري (6/291) .

⁸⁵ مواقف المعارضة ص 257 ، الطبقات (5/374) .

⁸⁶ تاريخ الطبري (6/293) .

⁸⁷ سير أعلام النبلاء (3/308) .



لا يدري أصبح أم يمسي حتى يقتل، وهو يقول لك: ارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأي. فقال محمد بن الأشعث: والله لأفعلن ولأعلمن ابن زياد أني قد أمنتك ودعا ابن الأشعث إياس بن العباس الطائي، وقال له: اذهب فالتق حسينا فأبلغه هذا الكتاب، ثم أعطاه راحلة وتكفل له بالقيام بأهله وداره⁸⁸، وأدخل محمد بن الأشعث مسلم بن عقيل على ابن زياد، وأخبره بما أعطاه من الأمان، فقال ابن زياد: ما بعثناك لتؤمنه ولم يقبل أمانه⁸⁹، واستسقى مسلم وهو بباب القصر، فجاءه عمار بن عقبة بماء بارد، ولكنه لم يستطع أن يشرب لما كان يختلط به من دمه فتركه ودخل على ابن زياد فقال له: إني قاتلك. قال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوصي إلى بعض قومي، قال: أوصي: فنظر مسلم في جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: عمر، إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهي سر، فقم معي إلى ناحية القصر حتى أقولها لك، فأبى أن يقوم معه حتى أذن له ابن زياد، فقام فتحنى قريباً من ابن زياد، فقال له مسلم: إن علي دينار في الكوفة سبعمائة درهم، فأقضها عني، واستوهب جثتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين، فإني كنت قد كتبت إليه أن الناس معه، ولا أراه إلا مقبلاً، فقام عمر، فعرض على ابن زياد ما قال له: فأجاز ذلك كله، وقال: أما حسين فإنه لم يردنا ولا نرده، وإن أرادنا لم نكف عنه ثم أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل، فأصعد إلى أعلى القصر، وهو يكبر ويهلل ويسبح ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ويقول: اللهم أحكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا، ثم ضرب عنقه رجل يقال له: بكير بن حمران ثم ألقى رأسه إلى أسفل القصر، وأتبع رأسه بجسده⁹⁰.

5 - قتل هانيء بن عروة:

واتخذ ابن زياد إجراءً يدل على قسوته وجبروته وظلمه، فقد أمر بهانيء فأخرج إلى السوق وقتل وظل هانيء يصيح لقبيلته مذحج ولكن لم ينصره أحد، ثم صلب هانيء ومسلم في سوق أمام الناس⁹¹، ثم أمر بضرب أعناق اثنين من الذين كانوا يخططون لنصر مسلم بن عقيل وصلبهما في السوق أيضاً⁹². وكان في وسع ابن زياد أن يرسل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة إلى الخليفة بدمشق، وربما يسجنون أو يعفى عنهم فيما بعد بدلاً من أراقة الدماء وإيجاد الإحن والعداوات بين المسلمين. وقد برهن ابن زياد على بطش الدولة وعسفها وأنها لا تبالي إلا بالحفاظ على سلطانها مهما كلفها

⁸⁸ البداية والنهاية (11/ 488)، تاريخ الطبري (6/297).

⁸⁹ تاريخ الطبري (6/298).

⁹⁰ البداية والنهاية (11/490).

⁹¹ المصدر نفسه (11/490)، تاريخ الطبري (6/302).

⁹² تاريخ الطبري (6/302).



ذلك من سفك الدماء ويبدو أن مسلماً - رحمه الله - لم يكن بالسياسي المحنك الذي ينظر للمستقبل بحذر، ويزن الأمور بميزان الوقائع السابقة وقيس الأحداث القائمة على نظيراتها الماضية لهذا غرّه تكاثر المبايعين، وبكاؤهم بين يديه ووعودهم الموثقة بنصرة الحسين فأسرع وكتب إلى الحسين يستقدمه، ويحثه على سرعة الحضور فقد تمهدت له البيعة والحضور⁹³. فالعواطف وحدها لتكفي في قلب الأنظمة وإزالة الدول، فلا بد من القيادة الراشدة، والتنظيم المحكم، والتخطيط البعيد، وتوثيق الأفراد، والأعداد المعنوي والمادي معاً جنباً إلى جنب، ونستطيع أن نقول بأن ما اعتمد عليه مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة من حسابات كانت خاطئة وغير صحيحة، فقد ظن مسلم بن عقيل إن العاطفة المحركة لكثير من العامة هي السبيل الوحيد للنصر ولم يأخذ في الاعتبار تأييد زعماء الكوفة أو الاتصال بهم، ولم يحاول مسلم بن عقيل أن ينظم تلك الجموع، وفق اختصاصات معينة تسيطر عليها منظمة سرية تستطيع أن تتحرك في الخفاء وبدون قيود، كما أنه أخفق في توظيف الإمكانيات التي توفرت له، حيث أن العاطفة المسيطرة على المجتمع الكوفي كفيلة بأن تقلب الأمور لصالحه وذلك بعد إرادة الله، فيما لو استخدمت وأرشدت تلك العاطفة إرشاداً صحيحاً مميزاً، ونجد الطرف الآخر النصير وهو هانيء بن عروة والذي يعتبر من أبرز الناس الذين أيدوا مسلماً وناصروه اعتمد على قوة وكثرة قبيلته، وظن أنه بمنأى عن العقاب وذلك باعتباره زعيماً لمراد التي ذكر المؤرخون أنه كان يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، وإذا انضاف لهذه القبيلة أحلافها من كندة بلغ العدد ثلاثين ألف دارع، سوى الرجالة⁹⁴، ولكن حسابات هانيء بن عروة كانت خاسرة، فالناس قد ضعفت بينهم الروابط القديمة التي تعتبر فيها القبيلة محور الارتكاز، وزعيم القبيلة هو القائد المهيمن الذي ينصاع لأوامره الجميع بدون تردد وكان لتقسيمات الأرباع في ولاية زياد بن أبيه أثر في هذا الضعف، كما أن نظام العطاء ربط مصالح القبائل بالسلطة الأموية، لقد كانت الحسابات التي ارتكز عليها هانيء والتي اعتمد فيها على القبيلة قد أثبتت خسارتها⁹⁵، ومما قيل من الشعر في مقتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري
إلى هانيء في الشوقِ وابن

عقيل

أصابهما أمر الإمام فأصبحا

⁹³ الأمويون بين الشرق والغرب (1/205).

⁹⁴ مروج الذهب (3/6).

⁹⁵ مواقف المعارضة ص 259 إلى 261.



أحاديث من يسعى بكل سبيل
إلى بطل قد هَشَمَ السيف وجهه
وأخر يَهْوِي من طمار⁹⁶ قتيل
ترى جسداً قد غَيَّرَ الموت لونه
ونضح دمٍ قد سال كلَّ مَسِيلٍ
فإن أنتم لم تتأروا بأخيكم
فكونوا بغيا أُرْضِيت بقليل⁹⁷

سادساً : وصول خبر مقتل مسلم بن عقيل للحسين ، وملاقاته طلّاع جيش بن زياد :

خرج الحسين رضي الله عنه من مكة يوم التروية الموافق لثمان من ذي الحجة سنة ستين، أدرك والي مكة عمرو بن سعيد بن العاص خطورة الموقف فأرسل وفداً إلى الحسين وعلى رأسهم أخوه يحيى بن سعيد بن العاص فحاولوا أن يثنوه عن عزمه ولكنه رفض فنادوه: يا حسين، ألا تتقي الله تخرج عن جماعة المسلمين وتفرق بين هذه الأمة، فردّ الحسين قول الله تعالى: ((لِي عَمَلِي وَلكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)) (يونس ، الآية : 41). فخرج الحسين متوجهاً إلى العراق في أهل بيته وستين شيخاً من أهل الكوفة⁹⁸. وكتب مروان بن الحكم إلى ابن زياد: أما بعد فإن الحسين بن علي قد توجه إليك، وهو الحسين بن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتالله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين، وإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء ولا ينسأه العامة، ولا يدع ذكره، والسلام عليك⁹⁹، وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص ينهيه عن التعرض للحسين ويأمره بأن يكون حذراً في تعامله مع الحسين: قائلاً له: أما بعد فقد توجه إليك الحسين وفي مثلها تعتق أو تعود عبداً تسترق كما يسترق العبيد¹⁰⁰. وفي الطريق إلى الكوفة قابل الحسين الفرزدق الشاعر المشهور بذات عرق¹⁰¹. فسأله الحسين بن علي عن تصويره لما يقوم به أهل الكوفة حياله، ثم أراد أن يعطي الفرزدق إيضاحاً أكثر وقال: هذه كتبهم معي، فرد عليه الفرزدق: يخذلونك فلا تذهب فإنك تأتي قوماً قلوبهم معك وأيديهم عليك¹⁰². وعندما علم يزيد بن معاوية بخروج الحسين من مكة واتجاهه

⁹⁶ البداية والنهاية (11/490 ، 491) . المكان المرتفع .

⁹⁷ المصدر نفسه (11/491) .

⁹⁸ تاريخ الطبري (6/309) ، مواقف المعارضة ص 262 .

⁹⁹ الطبقات (5/167) ، تهذيب الكمال (6/422) مواقف المعارضة ص 263 .

¹⁰⁰ تهذيب الكمال (6/422) مواقف المعارضة ص 263 .

¹⁰¹ ذات عرق على مرحلتين من مكة .

¹⁰² البداية والنهاية (11/510) .



للكوفة، كتب إلى ابن زياد يحذره ويقول: بلغني أن حسيناً قد سار إلى الكوفة وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلاد وابتليت به من بين العمال وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعتبد العبيد¹⁰³.

1 - ابن زياد يتخذ التدابير الأمنية:

اتخذ ابن زياد بعض التدابير لكي يحول بين أهل الكوفة وبين الحسين، ويحكم سيطرته على الكوفة، فقام بجمع المقاتلة وفرق عليهم العطاء حتى يضمن ولاءهم¹⁰⁴. ثم بعث الحصين بن تميم الطهوي صاحب شرطته حتى نزل بالقادسية، وقام بتنظيم الخيل ما بين القادسية إلى خفضان¹⁰⁵، وما بين القادسية إلى القطقطان¹⁰⁶، وإلى لعل¹⁰⁷. ثم أصدر أوامره إلى الحسين بن تيم بأن يقبض على كل من ينكره¹⁰⁸، ثم أمر ابن زياد بأخذ كل من يجتاز بين واقصة¹⁰⁹ إلى طريق الشام، إلى طريق البصرة فلا يترك أحد يلج ولا يخرج¹¹⁰، وأراد ابن زياد من الإجراء الأخير قطع الاتصال بين أهل الكوفة وبين الحسين بن علي ومضى الحسين بن علي في طريقه إلى الكوفة ولم يكن يعلم بتلك التغيرات التي حدثت في الكوفة بعد خروجه من مكة ولما بلغ الحاجز من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى الكوفة وكتب معه إليهم برسالة يخبرهم فيها بقدومه¹¹¹ ولكن الحصين بن تميم قبض على قيس بن مسهر مبعوث الحسين حين وصوله إلى القادسية¹¹². ثم بعث به إلى ابن زياد فقتله مباشرة¹¹³. ثم بعث الحسين مبعوثاً إلى مسلم فوقع في يد الحصين بن تميم وبعث به إلى ابن زياد فقتله¹¹⁴، وكانت لتلك الإجراءات الصارمة التي اتخذها ابن زياد أثر كبير على نفوس أتباع الحسين، فهم يرون أن من كان له علاقة بالحسين فإن مصيره القتل وعلى أبشع صورته، فأصبح من يفكر في نصرة الحسين فإن عليه أن يتصور نهايته على ذلك النحو المؤلم¹¹⁵، وكان الحسين رضي الله عنه يحس أن الأمور تسير سيراً غير طبيعي في الكوفة وخاصة عندما أخبره الأعراب أن أحداً لا يلج ولا يخرج من الكوفة مطلقاً¹¹⁶. واستمر التحذير من بعض رجال القبائل العربية الذين مرّ بهم، وبينوا له ذلك

¹⁰³ مجمع الزوائد (9/139)، المعجم الكبير (3/115).

¹⁰⁴ الطبقات (5/376) مواقف المعارضة ص 264.

¹⁰⁵ خفضان: لعلها خفان: موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً.

¹⁰⁶ القطقطان: موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالقرب من القادسية.

¹⁰⁷ لعل: منزل بين البصرة والكوفة بينها وبين البصرة عشرون ميلاً.

¹⁰⁸ أنساب الأشراف (3/166) الطبقات (5/376).

¹⁰⁹ واقصة: منزل بطريق مكة لبن شهاب من طيء وهو دون زبالة بمرحلتين.

¹¹⁰ أنساب الأشراف (3/573) مواقف المعارضة ص 265.

¹¹¹ البداية والنهاية (11/512).

¹¹² تاريخ الطبري نقلاً عن مواقف المعارضة ص 266.

¹¹³ الطبقات (5/376) أنساب الأشراف (3/167).

¹¹⁴ أنساب الأشراف (3/168) مواقف المعارضة ص 266.

¹¹⁵ مواقف المعارضة ص 266.

¹¹⁶ أنساب الأشراف (3/168) مواقف المعارضة ص 266.



الخطر الذي يقدم عليه، ولكن الحسين كان يدل على نجاح مهمته بالإشارة إلى ذلك العدد الهائل من أسماء المبايعين التي كانت بحوزته¹¹⁷، ولما بلغ الحسين زبالة¹¹⁸، وقيل شراف¹¹⁹ جاءه خبر مقتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة وعبد الله بن بقطر، إضافة إلى تخاذل أهل الكوفة عن نصرته¹²⁰. وكان لهذا الخبر المفجع المؤلم وقعه الشديد على الحسين رضي الله عنه، فهؤلاء أقرب الناس إليه قد قتلوا والشيعية في الكوفة تخاذلوا في نصرته¹²¹.

2 - الحسين يعطي الأذن لأصحابه بالإنصراف:

لما بلغ الحسين مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وتخاذل الناس عنه أعلم الحسين من معه بذلك، وقال من أحب أن ينصرف فلينصرف فتفرق الناس عنه يمينا وشمالاً¹²²، وقال له بعض من ثبتوا معه: ننشدك الله إلا ما رجعت من مكانك، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل تتخوف أن يكونوا عليك. فوثب بنو عقيل إخوة مسلم - وقالوا: والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم¹²³.

3 - ملاقة الحر بن يزيد التميمي ومعه طلائع جيش الكوفة:

انصرف الناس عن الحسين - رضي الله عنه - فلم يبق معه إلا الذين خرجوا معه من مكة، واستمر في سيره حتى بلغ شراف وهناك أمر فتيانه أن يستقوا ويكثروا، ثم سار حتى إذا كان منتصف النهار كبر رجل من أصحابه، فقال الحسين: الله أكبر ما كبرت؟ قال الرجل رأيت النخل، فقال رجلان، إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط فقال الحسين: فما تريانه رأي؟ قال: نراه رأي هوادي الخيل فقال الرجل وأنا والله أرى ذلك¹²⁴... وبالفعل كانت طلائع خيل ابن زياد عليها الحر بن يزيد وكان عددها ألف فارس وقد أدرك الحر بن يزيد الحسين ومن معه قريباً من شراف. ولما طلب منه الحسين الرجوع منعه وذكر له أنه مأمور بملازمته حتى الكوفة وقام الحسين وأخرج خريجين مملوءة بالكتب التي تطلب منه القدوم إلى الكوفة، فأنكر الحر والذين معه أي علاقة لهم بهذه الكتب¹²⁵، وهنا رفض الحسين الذهاب مع الحر إلى الكوفة وأصر على ذلك، فاقترح عليه الحر أن يسلك طريقاً يجنبه الكوفة ولا يرجعه إلى المدينة، وذلك من أجل أن يكتب الحر إلى ابن زياد بأمره، وأن يكتب

¹¹⁷ الطبقات (5/371).

¹¹⁸ زبالة : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة .

¹¹⁹ شراف : بين واقصة والفرعاء على ثمانية أميال من الإحساء .

¹²⁰ تاريخ الطبري (6/322).

¹²¹ مواقف المعارضة ص 267 .

¹²² تاريخ الطبري (6/323).

¹²³ تاريخ الطبري (6/322).

¹²⁴ المصدر نفسه (6/325).

¹²⁵ المصدر نفسه (6/327).



الحسين إلى يزيد بأمره¹²⁶. وبالفعل تياسر الحسين عن طريق العذيب والقادسية واتجه شمالاً على طريق الشام¹²⁷. وأخذ الحريساير الحسين وينصحه بعدم المقاتلة ويذكره بالله، ويبيّن له أنه إذا قاتل فسوف يقتل¹²⁸، وكان الحسين يصلي بالفريقين إذا حضرت الصلاة¹²⁹.

4 - ملاقة عمر بن سعد بن أبي وقاص والمفاوضات:

ولما وصل الحسين إلى كربلاء أدركته خيل عمر بن سعد ومعه شمر بن ذي الجوشن، والحسين بن تميم¹³⁰، وكان هذا الجيش الذي يقوده عمر بن سعد مكوناً من أربعة آلاف مقاتل وكان وجهة هذا الجيش في الأصل إلى الري لجهاد الديلم، فلما طلب منه ابن زياد أن يذهب لمقاتلة الحسين رفض عمر بن سعد في البداية هذا الطلب، ولكن ابن زياد هدده إن لم ينفذ أمره بالعزل وهدم داره وقتله، وأمام هذا الخيار رضي بالموافقة¹³¹.

ولما وصل الحسين كربلاء أحاطت به الخيل، ويطلق على المنطقة كلها اسم الطف¹³². وبدأ الحسين بن علي بالتفاوض مع عمر بن سعد، ويبيّن الحسين أنه لم يأت إلى الكوفة إلا بطلب من أهلها. وأبرز لعمر بن سعد المدليل على ذلك، وأشار إلى حقيبتين كبيرتين تضمن أسماء المبايعين والداعين للحسين، وكتب عمر بن سعد لابن زياد بما سمعه من الحسين وقال: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإني حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي، فسألته عما أقدمه وماذا يطلب، فقال: كتب إلي أهل هذه البلاد وأتتني رسلكم، فسألوني القدوم ففعلت، فأما إذا كرهوني، فبدا لهم غير ما أتتني به رسلكم فأنا منصرف عنهم. فلما قريء على ابن زياد تمثل قول الشاعر:

الآن إذا علقت مخالبتنا به

يرجو النجاة ولاة حين مناص

ثم كتب ابن زياد لعمر بن سعد: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت، فاعرض على الحسين أن يبائع ليزيد بن معاوية وجميع أصحابه فإذا فعل ذلك رأينا رأينا والسلام. ولما اطلع عمر بن سعد على جواب ابن زياد ساءه ما يحمله الجواب من تعنت وصلف، وعرف أن ابن زياد لا يريد السلامة¹³³. رفض الحسين هذا العرض، ثم لما رأى جهامة

¹²⁶ المصدر نفسه (6/328).

¹²⁷ المصدر نفسه (6/328).

¹²⁸ المصدر نفسه (6/329).

¹²⁹ المصدر نفسه (6/326).

¹³⁰ أنساب الأشراف (3/166).

¹³¹ تاريخ الطبري (6/335).

¹³² الطف: ما اشرف من أرض العرب على ريف العراق وهي بناحية الكوفة.

¹³³ تاريخ الطبري (6/337).



الموقف وخطورته طلب من عمر بن سعد مقابلته¹³⁴، وعرض على عمر بن سعد عرضاً آخر يتمثل في إجابته واحدة من ثلاث نقاط¹³⁵.

أ - أن يتركوه فيرجع من حيث أتى.

ب - وإما أن يتركوه ليذهب إلى الشام فيضع يده في يد يزيد بن معاوية.

ج - وإما أن يسيروه إلى أي ثغر من ثغور المسلمين فيكون واحداً منهم له ما لهم وعليه ما عليهم¹³⁶. وقد أكد الحسين رضي الله عنه موافقته للذهاب إلى يزيد¹³⁷. وكتب عمر بن سعد إلى ابن زياد بكتاب أظهر فيه أن هذا الموقف المتأزم قد حُلَّ، وأن السلام قد أوشك، وما على ابن زياد إلا الموافقة¹³⁸. وبالفعل فقد أوشك ابن زياد أن يوافق ويرسله إلى يزيد، لولا تدخل شمر بن ذي الجوشن الذي كان جالساً في المجلس حين وصول الرسالة فقد اعترض على رأي ابن زياد في أن يرسله إلى يزيد، وبين لابن زياد أن الأمر الصائب هو أن يطلب من الحسين أن ينزل على حكمه - أي ابن زياد - حتى يكون هو صاحب الأمر المتحكم فيه¹³⁹. فلما وصل الخبر إلى الحسين رضي الله عنه رفض الطلب وقال: لا والله لا أنزل على حكم عبيد الله بن زياد أبداً¹⁴⁰، وقال لأصحابه الذين معه أتم في حل من طاعتي، ولكنهم أصروا على مصاحبته والمقاتلة معه حتى الشهادة¹⁴¹، واتخذ ابن زياد إجراءً احترازياً حين خرج إلى النخيلة¹⁴²، واستعمل على الكوفة عمرو بن حريث، وضبط الجسر، ولم يترك أحداً يجوزه، وخاصة أنه علم أن بعض الأشخاص من الكوفة بدأوا يتسللون من الكوفة إلى الحسين¹⁴³.

سابعاً : المعركة الفاصلة استشهاد الحسين رضي الله عنه ومن معه:

في صباح يوم الجمعة عام 61هـ نظم الحسين رضي الله عنه أصحابه وعزم على القتال وكان معه اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنته وحبيب بن مظاهر في الميسرة، وأعطى رايته العباس بن علي، وجعل البيوت وراء ظهورهم، وأمر الحسن بحطب وقصب فجعله من

¹³⁴ المحن لأبي العرب ص 154 .

¹³⁵ المصدر نفسه ص 154 .

¹³⁶ المصدر نفسه .

¹³⁷ أنساب الأشراف (3/173، 224) بإسناد صحيح وتوبع عند الطبري بإسناد صحيح .

¹³⁸ تاريخ الطبري (6/340) .

¹³⁹ المصدر (6/340، 341) .

¹⁴⁰ حقية من التاريخ ص 132، تاريخ الطبري (6/342) .

¹⁴¹ تاريخ الطبري (6/346) .

¹⁴² النخيلة : تصغير نخلة - موضع قرب الكوفة .

¹⁴³ الطبقات (5/378) .



وراء البيوت، وأشعل فيه النار مخافة أن يأتوهم من خلفهم¹⁴⁴. وأما عمر بن سعد فقد نظم جيشه، وجعل على الميمنة عمرو بن الحجاج الزبيدي - بدلاً من الحر بن يزيد الذي انضم إلى الحسين. وجعل على الميسرة شمر بن ذي الجوشن - وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي وعلى الرجال شبت بن ربعي الرياحي، وأعطى الراية ذويداً مولاه¹⁴⁵. وبدأت المعركة سريعة وكانت مبارزة في بداية الأمر، وجوبه جيش عمر بن سعد بمقاومة شديدة من قبل أصحاب الحسين، حيث أن مقاتلتهم اتسمت بالفدائية فلم يعد لهم أمل في الحياة¹⁴⁶، وكان الحسين رضي الله عنه في البداية لم يشترك في القتال، وكان أصحابه يدافعون عنه ولما قتل أصحابه لم يجرؤ أحد على قتله، وكان جيش عمر بن سعد يتدافعون ويخشى كل فرد أن ييؤ بقتله وتمنوا أن يستسلم، ولكن الحسين رضي الله عنه لم يبد شيئاً من الليونة، بل كان رضي الله عنه يقاتلهم بشجاعة نادرة، عندئذ خشى شمر بن ذي الجوشن من انفلات زمام الأمور فصاح بالجند وأمرهم بقتله، فحملوا عليه، وضربه زرعة بن شريك التميمي ثم طعنه سنان بن أنس النخعي واحتز رأسه¹⁴⁷، ويقال أن المذي قتله عمرو بن بطار التغلبي، وزيد بن رقاده الحيني¹⁴⁸، ويقال أن المتولي لإجهاز عليه شمر بن ذي الجوشن الضبي، وحمل رأسه إلى ابن زياد خولي بن يزيد الأصبحي¹⁴⁹، وكان قتله رضي الله عنه في محرم في العاشر منه سنة إحدى وستين¹⁵⁰. وقتل مع الحسين رضي الله عنه اثنا وسبعون رجلاً، وقتل من أصحاب عمر ثمان وثمانون رجلاً¹⁵¹، وبعد إنتهاء المعركة أمر عمر بن سعد بأن لا يدخل أحد على نساء الحسين وصبيانهم، وأن لا يتعرض لهم أحد بسوء¹⁵²، وأرسل عمر بن سعد برأس الحسين ونساءه ومن كان معه الصبيان إلى ابن زياد¹⁵³.

وكان الذين قتلوا مع الحسين رضي الله عنه من آل أبي طالب، فمن أولاد علي بن أبي طالب الحسين نفسه، وجعفر والعباس وأبو بكر ومحمد وعثمان، ومن أولاد الحسين: علي الأكبر غير عليّ زين العابدين لأنه كان عنده علي الأصغر وعلي الأكبر وعبد الله. ومن أبناء ابنه الحسن قتل عبد الله والقاسم وأبو بكر. ومن أولاد عقيل قتل جعفر وعبد الله وعبد الرحمن ومسلم بن عقيل قتل بالكوفة وعبد الله بن مسلم. ومن أولاد عبد الله بن جعفر: قتل

¹⁴⁴ تاريخ الطبري (6/349).

¹⁴⁵ تاريخ الطبري (6/249).

¹⁴⁶ المصدر نفسه (6/350).

¹⁴⁷ تاريخ الطبري نقلاً عن مواقف المعارضة ص 276.

¹⁴⁸ المصدر نفسه نقلاً عن مواقف المعارضة ص 276.

¹⁴⁹ تاريخ الطبري (385).

¹⁵⁰ تاريخ الطبري (325).

¹⁵¹ الطبقات (5/386) إسناد جمعي تاريخ الطبري (6/385).

¹⁵² الطبقات (5/385) مواقف المعارضة ص 277.

¹⁵³ تاريخ الطبري نقلاً عن مواقف المعارضة ص 276.



عون ومحمد¹⁵⁴، ثمانية عشر رجلاً كلهم من بيت رسول الله قد قتلوا في هذه المعركة غير المتكافئة، والعجيب في هذه أن ممن قتل بين يدي الحسين بن علي رضي الله عنهما أبو بكر بن علي وعثمان بن علي وأبو بكر بن الحسن ولا تجد لهم ذكراً عندما تسمع أشرطة الشيعة وتقرأ كتبهم التي ألفت في مقتل الحسين حتى لا يقال إن علي بن أبي طالب سمي أولاده بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان، أو أن الحسن سمي على اسم أبي بكر وهذا أمر عجيب جداً منهم¹⁵⁵. وعن أنس قال: ولما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه يقول: لقد كان - أحسبه جميلاً. فقلت والله لأسوءئك إني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثم¹⁵⁶ حيث يقع قضيبك. قال: فانقبض¹⁵⁷. وفي رواية البخاري عن أنس قال: أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعله في طست، فجعل ينكت عليه وقال في حسنه شيئاً فقال أنس: إنه كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مخضوباً بالوسمة¹⁵⁸. ولما وصل نساء الحسين وصبياناه صنع بهما ابن زياد أن أمر لهم بمنزل في مكان معتزل فأجرى عليهم الرزق، وأمر لهم بالكسوة والنفقة¹⁵⁹. وتذكر بعض الروايات التي لها ميول شيعية أن ابن زياد أمر بقتل كل من أنبت، ولعل مما يظهر كذب هذه الروايات حينما تذكر أن علي بن الحسين كشفوا عنه فوجوده قد أنبت، فأمر ابن زياد بقتله ولكن شفاعته أخته زينب وتعلقها به حالت دون قتله¹⁶⁰، وليس صحيحاً كذلك أن ابن زياد قد أساء معاملة نساء الحسين بعد قتله، أو في ترحيله لهن إلى الشام، فالروايات التاريخية تخبرنا أن أحسن شيء صنعه ابن زياد أنه أمر لهن بمنزل في مكان معتزل، وأجرى عليهن رزقاً، وأمر لهن بنفقة وكسوة¹⁶¹، ويقول ابن تيمية في رده على بعض كذابي الشيعة: وأما ما ذكره من سبي نسائه والدوران بهن على البلدان وحملهن على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب، وباطل وماسبي المسلمون - ولله الحمد - هاشمية قط، ولا استحللت أمة محمد صلى الله عليه وسلم هاشمية قط، ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيراً¹⁶². بل المرجح أن ابن زياد بعد أن ذهبت عنه نشوة النصر، أحس فداحة خطئه وكان ذلك الشعور هو المسيطر على بعض أفراد أسرته القريبين منه، فقد كانت أمه تقول له: ويلك ماذا صنعت، أو ماذا ركبت¹⁶³. وكان أخوه عثمان بن زياد

¹⁵⁴ تاريخ خليفة بن خياط ص 234 .

¹⁵⁵ حقة من التاريخ ص 135 ، 136 .

¹⁵⁶ مسند أبي يعلى رقم 3981 يلثم : يقبل .

¹⁵⁷ مسند أبي يعلى رقم 3981 .

¹⁵⁸ البخاري رقم 3748 .

¹⁵⁹ أنساب الأشراف (3/226) إسناد صحيح .

¹⁶⁰ أبو العرب ص 157 ، تاريخ الطبري (6/388) .

¹⁶¹ الدولة الأموية المفترى عليها ص 322 .

¹⁶² منهاج السنة (2/249) .

¹⁶³ تاريخ الطبري ، نقلاً عن الدولة الأموية المفترى عليها ص 322 .



يقول: لوددت والله أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة، وأن حسيناً لم يقتل: فلا ينكر عليه عبيد الله قوله¹⁶⁴.

ثامناً : مواقف رائعة بجانب الحسين رضي الله عنه:

كانت هناك مواقف رائعة هزت مشاعرنا وقد سطر التاريخ هذه المواقف لأصحابها لكي يتبين للناس أن في كل زمان شخصيات تقف إلى جوار الرجال تقديراً لمقامهم، ورعاية لحرمتهم، وإظهاراً للحق في مقارنة الرجال إذا واجه بعضهم بعضاً، فهم يقدرّون الرجال لمكانتهم الاجتماعية ويفضلونهم على غيرهم، لما يتصفون به من العلم والشجاعة والتقوى ولو كان غيرهم هم الحكام والأمراء، فلا الخوف من الحاكم ينسيهم قدر الرجال، ولا ظلم الحكام ينحرف بهم إلى النفاق والمجاملة، ولا المناصب التي يشغلونها تلهيهم عما يجب أن يكونوا عليه من الصراحة والشجاعة الأدبية¹⁶⁵ ومن هذه المواقف:

1 - موقف الوليد بن عتبة بن أبي سفيان رحمه الله:

فقد امتنع عن استخدام الشدة والقسوة مع الحسين والزامه بالقوة أو قتله وقال:... والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيناً سبحان الله، أقتل حسيناً أن قال: لا أبايع والله إنني لأظن أمراً يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة¹⁶⁶. وهكذا يقف الوليد هذا الموقف الرائع، وهو أمير المدينة يومئذ، وهو يعلم تماماً أن ذلك الموقف سيؤدي لا محالة إلى عزله عن إمارة المدينة، بل قد يزيد على ذلك، فيؤدي إلى قتله وهلاكه، وهو مع هذا يفضل هلاك الدنيا وزوال الملك والسلطان، على أن يلقي الله بدم الحسين¹⁶⁷ - رضي الله عنه :-

2 - موقف النعمان بن بشير - رضي الله عنه - : وكان أمير

الكوفة فإنه بلغه خروج الحسين بن علي رضي الله عنهما - ووصول مسلم بن عقيل إلى الكوفة يأخذ البيعة للحسين، قام فخطب في الناس وحذرهم الخروج على الإمام وأرهبهم من السعي في الفتنة، وذكرهم بما يجره على العامة والخاصة من الخراب والدمار ومع ذلك كان لينا مع الناس، وأخبرهم أنه لن يأخذ أحداً بظنه، ولن يقاتل أحداً لم يقاتله، ولكن شدد في نهاية الخطبة، وقال للناس: ولكنكم إن أبدتكم صفحتكم لي، ونكتتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره، لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر ومع هذا فقد عاب عليه محبو الأمويين هذا

¹⁶⁴ الكامل في التاريخ (2/582) .

¹⁶⁵ الأمويون بين الشرق والغرب (1/249) .

¹⁶⁶ تاريخ الطبري (6/259) .

¹⁶⁷ الأمويون بين الشرق والغرب (1/249) .



الموقف ووسموه بالضعف، وقالوا: إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين فقال: رضي الله عنه: أن أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحب إلي من أن أكون من الأعزّين في معصية الله¹⁶⁸.
 إن رضا الله - تبارك وتعالى - غاية يضحى المسلم في سبيلها بكل غاية، ويبذل في سبيل الحصول عليها كل غالٍ ونفيس فرضوان الله هو النعمة العظمى التي سيتجلى الله بها على عباده المؤمنين في الجنة¹⁶⁹، يقول الحق - عز وجل: ((وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) (التوبة ، الآية : 72) .

3 - موقف الحر بن يزيد رحمه الله: وهو أول من لقي الحسين في جيش الكوفة، وهو الذي حال بينه وبين الرجوع إلى المكان الذي أتى منه، ولكنه مع ذلك كان نبيلاً في معاملته للحسين - رضي الله عنه - فقد قال له: أنا لم أؤمر بقتالك، ولكني أمرت أن أخرج بك إلى الكوفة إن وجدتكَ، ولكني أقول لك: اختر مكاناً لا يؤدي بك إلى الكوفة ولا يعود بك إلى المدينة، ثم أكتب بعد ذلك إلى يزيد بن معاوية أو إلى ابن زياد إن شئت ولم يكديصل الجيش وعلى رأسه عمر بن سعد بن أبي وقاص، وتواجه كلا الفريقين، وتأكد الحُرُّ أن الحرب دائرة بينهما لا محالة، قال الحر لعمر بن سعد: أصلحك الله! أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال عمر؟ إي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي عندئذ ضرب الحر فرسه، وانطلق به نحو الحسين، وانضم إلى جماعته، ثم قال: يا أهل الكوفة، لأمكم الهبل، أدعوتم الحسين إليكم حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه، ومنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة الوسيعة التي لا يمنع فيها الكلب والخنزير وحلتم بينه وبين الماء الفرات الجاري الذي يشرب منه الكلب والخنزير، وقد صرعهم العطش؟ بئس ما خلفتم محمداً في ذريته، لأسقاكم الله يوم الظم الأكبر إن لم تتوبوا وتراجعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه واعتذر الحر عن موقفه الأول من الحسين وقبل الحسين عذره، فلما لامه بعض أصحابه عن الذهاب إلى الحسين قال: والله إنني لأخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا أختار على الجنة غيرها ولو قطعت وحرّقت¹⁷⁰.

إن الحر بن يزيد - رحمه الله - غير موقفه من الحسين - رضي الله عنه - بعد أن جنح الحسين إلى السلم، ورأى أن موقفه ضده ليس فيه إنصاف ولا عدل، إذ كيف يقاتل رجلاً يدعو إلى السلم، ويطلبه، ويمد يده إلى عدوه

¹⁶⁸ تاريخ الطبري (6/277) .

¹⁶⁹ الأمويون بين الشرق والغرب (1/250) .

¹⁷⁰ تاريخ الطبري (6/355 ، 356) .



ليصالحه، إن الرجولة تقتضي أن يكون الموقف مع هذا المسالم موقف العون وشد الأزر، وإن العقل يحكم بأن الحق مع من يطلب السلم وينشده والحر يعلم أن الوقوف مع حسين والميل إليه ليس له معنى إلا الموت، ولكنه اختار الموت الذي يوصل إلى الجنة¹⁷¹، ومما قيل في الحر بن يزيد التميمي من شعر ما قاله جعفر بن عفان الطائي:

ولم يك فيهم رجل رشيد

سوى الحر التميمي الرشيد

فواحزنناه إن بني عليّ

وفاطم قد أبيدوا بالحديد¹⁷²

4 - موقف النّوار بنت مالك الحضرمية: وهي امرأة خوليّ بن

يزيد الذي بعثه عمر بن سعد برأس الحسين إلى عبيد الله بن زياد، فلما بلغ خولي الكوفة قصد القصر، فوجد بابه مغلقاً، فتوجه بالرأس الشريف إلى بيته، فوضعه هناك تحت إجانة - والإجانة إناء تغسل فيه الثياب - ثم دخل على زوجته، وأوى إلى فراشه فقالت له زوجته: ما الخبر؟ عندك؟

قال: جئتُك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار، فقالت: ويلك جاء الناس بالذهب والفضة، وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم! لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت¹⁷³ أبداً، هذه امرأة انتظرت زوجها طويلاً، ولكن زوجها جاءها بما عكر عليها صفوها، وكدر عليها حياتها، وأفسد عليها انتظارها الطويل، لقد كانت ترجو أن يعود إليها زوجها بأخبار سيرة تشرح صدرها، وتملاً عليها نفسها سروراً نعم إن عودة زوجها إليها سالماً هي أحسن خبر يحمله لها، ولكنه لم يعد إليها خالي الوفاض من الذهب والفضة اللذين يعود بهما المحاربون عادة فقط، ولو كان الأمر كذلك لسُرت بعودته، وسلامته، ولكنه حمل إليها رأس الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إنها يبلغها الخبر بفرحة تدل على رضاه وسروره، أفتفرح هي بذلك؟ أنه لو جاءها بالخبر دون أن يكون مصحوباً بالرأس كان ذلك كفيلاً بزيادة حزنها وأسفها، فكيف وهو يحدثها بالخبر مقروناً برأس الحسين - رضي الله عنه - إن كل مؤمن يحزنه الخبر، ويهدّ نفسه سماعه، لهذا غادرت النوار فراش زوجها، وأقسمت ألا تجتمع معه في بيت أبداً¹⁷⁴.

¹⁷¹ الأمويون للوكيل (1/252) .

¹⁷² كتاب المحن ص 157 .

¹⁷³ تاريخ الطبري (6/385) .

¹⁷⁴ الأمويون بين الشرق والغرب (1/253) .



تاسعاً : موقف يزيد من قتل الحسين ومن أبناء الحسين وذريته:

كتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بما حدث ويستشيريه في شأن أبناء الحسين ونسائه فلما بلغ الخبر يزيد بن معاوية بكى وقال: كنت أرضى من طاعتكم - أي أهل العراق - بدون قتل الحسين، كذلك عاقبة البغي والعقوق لعن الله ابن مرجانة لقد وجده بعيد الرحم منه، أما والله لو أنني صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين¹⁷⁵، وفي رواية أنه قال: ... أما والله لو كنت صاحبه، ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلا ببعض عمري لأحببت أن أدفعه عنه¹⁷⁶، فجاء رد يزيد على ابن زياد يأمره بإرسال الأسارى إليه، ويأمر ذكوان أبو خالد فأعطاهم عشرة آلاف درهم فتجهزوا بها¹⁷⁷، ومن هنا يعلم أن ابن زياد لم يحمل آل الحسين بشكل مؤلم أو أنه حملهم مغلبن، كما ورد في بعض الروايات¹⁷⁸، وقد مر معنا كيف أن ابن زياد قد أمر للأسارى بمنزل منزله وأجرى عليهم الرزق والنفقة وكساهم¹⁷⁹.

وتذكر رواية عوانة أن محفز بن ثعلبة هو الذي قدم بأبناء الحسين على يزيد¹⁸⁰، ولما دخل أبناء الحسين على يزيد قالت: فاطمة بنت الحسين: يا يزيد: أبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا قال: بل حرائر كرام: أدخلني على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلت. قالت فاطمة: فدخلت إليهن فما وجدت فيهن سفيانية إلا ملتزمة تبكي¹⁸¹. وعندما دخل علي بن الحسين قال يزيد: إن أباك قطع رحمي وظلمني فصنع الله به ما رأيت - وكان علي بن الحسين في معركة كربلاء لم يشترك بسبب المرض الذي كان ملازمه، وكان أثناء احتدام المعركة طريق الفراش فحمل إلى ابن زياد مع بقية الصبيان والنساء¹⁸² - فرد علي بن الحسين على يزيد ((مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)) (الحديد ، الآية : 22). ثم طلب يزيد من ابنه خالد أن يجبه، فلم يدر خالد ما يقول فقال يزيد: قل له ((وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)) (الشورى ، الآية : 30) .

وتحاول بعض الروايات ذات النزعات والميول الشيعية أن تصور أبناء الحسين وبناته وكأنهن في مزاد علني، جعل أحد أهل الشام يطلب من يزيد أن يعطيه

¹⁷⁵ أنساب الأشراف بسند حسن (3/219 ، 220) مواقف المعارضة ص 282 .

¹⁷⁶ الأباطيل والمناكير (1/265) للجوزقاني بسند كل رجاله ثقات إلا أن فيه إنقطاعاً بين الشعبي والمدائني .

¹⁷⁷ الطبقات (5/393) مواقف المعارضة ص 282 .

¹⁷⁸ المحن ص 155 ، مواقف المعارضة ص 282 .

¹⁷⁹ مواقف المعارضة ص 283 .

¹⁸⁰ تاريخ الطبري (6/394) .

¹⁸¹ المصدر نفسه (6/395) .

¹⁸² الطبقات (5/211) مواقف المعارضة ص 278 .



أحدي بنات الحسين¹⁸³. فهذا من الكذب البين الذي لم يدعمه سند صحيح، ثم أنها مغايرة لما ثبت من إكرام يزيد لآل الحسين، ثم إن يزيد لم يستعرض النساء ويجعلهن عرضة للجمهور من أراد فليختار ما يشاء¹⁸⁴. وأرسل يزيد إلى كل امرأة من الهاشميات يسأل عن كل ما أخذ منهن، وكل امرأة تدعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلا أضعفه لهن في العطية¹⁸⁵، وكان يزيد لا يتغذى ولا يتعشى إلا دعا علي بن الحسين¹⁸⁶. وذكر إن رأس الحسين أرسل إلى يزيد فهذا لم يثبت، بل إن رأس الحسين بقي عند عبيد الله في الكوفة¹⁸⁷.

عاشراً : رجوع أهل الحسين وأبنائه إلى المدينة:

بعث يزيد إلى المدينة فقدم عليه ذوي السن من موالي بني هاشم ومن موالي بني علي¹⁸⁸، وبعد أن وصل الموالي أمر يزيد بنساء الحسين وبناته أن يتجهزن، وأعطاهن كل ما طلبن حتى لم يدع لهن حاجة بالمدينة إلا أمر بها¹⁸⁹، ثم أمر النعمان بن بشير أن يقوم بتجهيزهم¹⁹⁰، وقبل أن يغادروا قال يزيد لعلي بن الحسين إن أحببت أن تقيم عندنا فصل رحمك وتعرف لك حقل فعلت¹⁹¹. ولكن علي بن الحسين اختار الرجوع إلى المدينة، وأكرم أبناء الحسين وخيرهم بين المقام عنده والذهاب إلى المدينة فاختاروا الرجوع إلى المدينة¹⁹²، وعند مغادرتهم دمشق كثر يزيد الاعتذار من علي بن الحسين وقال: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أني صاحبه ما سألتني خصلة أبداً إلا أعطيتها إياه، ولدفعت عنه الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني بكل حاجة تكون لك¹⁹³. وأمر يزيد بأن يرافق ذرية الحسين وفد من موالي بني سفيان¹⁹⁴، وكان عددهم ثلاثين فارساً، وأمر المصاحبين لهم أن ينزلوا حيث شاءوا ومتى شاءوا وبعث معهم أيضاً محرز بن حريث الكلبي ورجل من بهرا، وكانا من أفاضل أهل الشام¹⁹⁵ وخرج آل الحسين من دمشق محفوفين بأسباب الاحترام والتقدير حتى وصلوا إلى المدينة¹⁹⁶. قال ابن كثير في يزيد: وأكرم آل بيت

¹⁸³ تاريخ الطبري (6/392) رواية أبي مخنف .

¹⁸⁴ البدء والتاريخ (6/12) وقال المؤلف: أن للروافض في هذه القصة من الزيادات والتهاويل شيئاً غير قليل .

¹⁸⁵ الطبقات (5/397) ، تاريخ الطبري (6/395) .

¹⁸⁶ الطبقات (5/397) .

¹⁸⁷ حقة التاريخ ص 141 .

¹⁸⁸ الطبقات (5/397) .

¹⁸⁹ المصدر السابق (5/397) تاريخ الطبري (6/393) .

¹⁹⁰ تاريخ الطبري (6/392) .

¹⁹¹ المصدر نفسه (6/393) سير أعلام النبلاء (4/386) .

¹⁹² منهاج السنة (4/559) .

¹⁹³ تاريخ الطبري (6/393) .

¹⁹⁴ الطبقات (5/397) مواقف المعارضة ص 286 .

¹⁹⁵ الحجة في بيان المحجة (2/525 - 526) مواقف المعارضة ص 286 .

¹⁹⁶ مواقف المعارضة في خلافة يزيد ص 286 .



الحسين ورد عليهم جميع ما فقد لهم وأضعفه، وردهم إلى المدينة في محامل وأبهة عظيمة، وقد ناح أهله على الحسين¹⁹⁷.

الحادي عشر : من المسئول عن قتل الحسين رضي الله عنه:

إن المسئول عن قتل الحسين أطراف متعددة منها:

1 - أهل الكوفة: إن أهل الكوفة هم الذين كاتبوا الحسين بن علي وهو في المدينة ومثوه بالخروج حتى خرج إليهم بالرغم من تحذيرات الصحابة له بعدم الخروج ولما عين ابن زياد أميراً على الكوفة تأخر الناس عن نصره الحسين وعن تأييده بل وانخرطوا في الجيش الذي حاربه وقتله، ولذا عبّر الحافظ ابن حجر عن موقف أهل الكوفة من الحسين بقول: فحُذِلَ غالب الناس عنه فتأخروا رغبة ورهبة، ولما تقابل الحسن ومن معه مع جند الكوفة نادى الحسين زعماء أهل الكوفة قائلاً لهم: يا شيث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلى أنه قد أينعت الثمار، وأخضر الجناب، وطمت الجمام، وإنما تقدم على جندك مجند، فأقبل. قالوا: لم نفعل، فقال سبحان الله بلى والله لقد فعلتم ثم قال: أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني¹⁹⁸. وبالنظر إلى أقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - فإن الاتهام موجه إلى أهل العراق، وذلك في المسؤولية المتعلقة بقتل الحسين رضي الله عنه، فهذه أم سلمة رضي الله عنها لما جاء نعي الحسين بن علي لعنت أهل العراق وقالت: قتلوه قتلهم الله عز وجل غرّوه ودلّوه لعنهم الله¹⁹⁹. وابن عمر رضي الله عنهما يقول لوفد من أهل العراق حينما سألوه عن دم البعوض في الإحرام فقال: عجباً لكم يا أهل العراق تقتلون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسالون عن دم البعوض²⁰⁰. ويقول البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق: روافض الكوفة موصوفون بالعدو والبخل، وقد سار المثل بهم فيها، حتى قيل أبخل من كوفي، وأغدر من كوفي، والمشهور من غدرهم ثلاثة أمور هي:

أ - بعد مقتل علي رضي الله عنه، بايعوا الحسن، وغدروا به في سباط المدائن، فطعنه سنان الجعفي .

ب - كاتبوا الحسين رضي الله عنه، ودعوه إلى الكوفة لينصروه على يزيد، فاغتر بهم، وخرج إليهم، فلما بلغ كربلاء غدروا به وصاروا مع عبيد الله يداً واحدة عليه. حتى قتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء .

¹⁹⁷ البداية والنهاية نقلاً عن مواقف المعارضة ص 287 .

¹⁹⁸ أنساب الأشراف (3/227) مواقف المعارضة ص 288 .

¹⁹⁹ فضائل الصحابة (2/782) بإسناد حسن .

²⁰⁰ مسند أحمد رقم 5568 إسناده صحيح .



ج - غدرهم يزيد بن علي بن الحسين، نكثوا بيعته، وأسلموه عند اشتداد القتال²⁰¹. إن جزءاً كبيراً من المسئولية يقع على أهل الكوفة، الذين جنوا ونقضوا عهودهم.

2 - عبيد الله بن زياد:

استمد عبيد الله جبروته وبطشه بالمعارضين من موافقة الخليفة يزيد بن معاوية، فعندما أقدم على قتل مسلم بن عقيل النائب الأول عن الحسين بالكوفة، وداعيته هانيء بن عروة الزعيم لقبيلة مراد المشهورة، استحسّن يزيد هذا الفعل ولم يعترض عليه بل إنه لم يخف إعجابه به وبطشه وعسفه، فقد قال في ردّه على رسالته: أما بعد فإنك لم تعد إن كنت كما أحببت، عملت عمل الحازم، وصلت صولت الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت، وصدقت ظني بك، ورأي فيك²⁰².. فهذا التشيع دفع ابن زياد للشر أكثر خصوصاً وأن نفسه كانت ميالة للشر بطبيعتها، متطلعة إلى الغلو في مسيرتها، متعطشة إلى الدماء في سلطانها، وإلا فماذا كان عليه لو أنه نهر شمر وعنفه وردعه على قوله، واستمر في قبول خطة السلم التي عرضها الحسين رضي الله عنه. إن النفوس الدنية التي ارتفعت بعد انحطاط، وعزت بعد ذل، وتمكنت بعد حرمان، يعزّ عليها أن ترى الشرفاء الأمجاد، يتمتعون باحترام الناس وتقديرهم فتحاول أن تضع من مكانتهم، وتحط من منزلتهم إشباعاً لعقدة النقص التي تطاردتهم في حياتهم، ولم يكن ابن زياد إلا واحداً من أصحاب هذه النفوس الدنية، فمن ابن زياد هذا - مهما كانت منزلته - إذا قورن بالحسين بن علي - رضي الله عنهما - لهذا رفض الحسين أن يضع يده في يد ابن زياد، وقال لا أعطيهم بيدي إعطاء العبد الذليل، وقال عمر بن سعد لما وصله كتاب ابن زياد: لا يستسلم والله الحسين، إن نفساً أبية ليين جنبيه²⁰³، لقد كان عبيد الله بن زياد والياً ظالماً قبيح السريرة وهو الذي دخل عليه - عائذ بن عمرو المزني، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لعبيد الله: أي بني: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن شر الرّعاء الخُطمة فأياك أن تكون منهم، فقال له، اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: هل كانت لهم نخالة²⁰⁴؟ إنما كانت النخالة بعدهم، وفي غيرهم²⁰⁵.

²⁰¹ الفرق بين الفرق ص 37 .

²⁰² تاريخ الطبري نقلاً عن مواقف المعارضة ص 293 .

²⁰³ تاريخ الطبري (6/342) .

²⁰⁴ نخالة : ما بقي في المنخل مما ينخل .

²⁰⁵ البخاري رقم 7150 .



لقد كان يتوجب على ابن زياد أن يلبي مطالب الحسين، وأن يتركه يذهب إلى يزيد، أو أي مكان آخر، خاصة أنه لن يدخل الكوفة²⁰⁶، وقد قال ابن الصلاح في فتاويه: والمحفوظ أن الأمر بقتاله المفضي إلى قتله إنما هو ابن زياد²⁰⁷، وقال يوسف العشي: وينبغي لنا أن نقول أن المسؤول عن قتل الحسين هو أولاً شمر، وثانياً عبيد الله بن زياد²⁰⁸. والصحيح أن المسؤولية الأولى والإثم الأكبر في هذه المذبحة تقع على عاتق ابن زياد لأنه مدبر هذا الأمر كله وهو الذي رفض عروض الحسين، والتاريخ يستنكر كل ما فعله، ويذمه أشد الذم، ويدمغه بالبغي والطغيان²⁰⁹. ويقول الذهبي في نهاية ترجمة عبيد الله: الشيعي لا يطيب عيشه حتى يلعن هذا ودونه، ونحن نبغضهم في الله، ونبرأ منهم/ ولا نلعنهم وأمرهم إلى الله²¹⁰.

3 - عمر بن سعد بن أبي وقاص قائد الجيش:

ومن المسؤولين على قتل الحسين رضي الله عنه قائد جيشه عمر بن سعد بن أبي وقاص، وبئس الخلف للسلف أو الابن لأبيه ثم الجنود الذين نفذوا أوامرهم في غير ما رحمة وكان لهم مندوحة أن يناوؤا عن ذلك، أو ينضموا إلى جانب الحسين، كما فعل الحر بن يزيد التميمي القائد الأول الذي أرسله بن زياد، ثم رأى أن ابن زياد وصحبه اعتدوا وطفغوا حين رفضوا عروض الحسين المنصفة، فتحول إلى معسكر الحسين وقاتل معه حتى قتل شهيداً²¹¹.

إن عمر بن سعد لم يخرج ابتداءً لقتال الحسين، ولكنه كان خارجاً لقتال الديلم في أربعة آلاف مقاتل، فلما بلغ ابن زياد أمر حسين سيره إليه، وقال له: قاتل حسيناً فإذا انتهيت فانصرف إلى الديلم، وكان قد ولاه إمارة الرِّيِّ واستعفى عمر ابن زياد من قتال الحسين، ولكن ابن زياد هدده بخلعه عن إمارة الرِّيِّ فتراجع عمر، وقال له: حتى أنظر، وأخذ يستشير الناس، وكلهم نصحوه بعدم الخروج إلى الحسين، وقال له ابن أخته - حمزة بن المغيرة بن شعبة -: أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين فتأثم بربك، وتقطع رحمك فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلها لو كان لك، خير لك من تلقى الله بدم الحسين²¹². فقال عمر بن سعد: فإني أفعل إن شاء الله وبرغم نصح الناصحين، وترهيب المرهبين، إلا أن نفس ابن سعد كانت متعلقة بالدنيا وحب الإمارة ومشغولة بالمنصب وتقلد الإدارة.. والحق يقال: إنه

²⁰⁶ مواقف المعارضة ص 297 .

²⁰⁷ الفيد الشريد ورقة 13 ، مواقف المعارضة ص 295 .

²⁰⁸ الدولة الأموية ص 172 .

²⁰⁹ عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ص 105 .

²¹⁰ عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ص 105 .

²¹¹ عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ص 105 .

²¹² تاريخ الطبري (6/335) .



اجتهد في محاولة إيجاد مخرج يتعد منه عن قتال الحسين ومن معه، ولكنه لم يوفق في شيء .

إن النفوس المتطلعة إلى الدنيا، تنسى في سبيلها شهامة الرجال، ومروءة الكرام بل تنسى ما هو أعظم من ذلك موقفها بين يدي الله عز وجل، وأنها ستحاسب على كل عمل تعمله، بل تنسى بديهيات الأمور، حيث تنسى فناء الدنيا، وزوال المنصب، وضياع الجاه والسلطان، لقد كان عمر بن سعد في غنى عن أن يقرن اسمه بأسماء الخونة الغادرين، وأن يسجل في سجل المعتدين الأثمين، لو أنه ضحى بالمنصب، وقبل طاعة الله ورسوله، ولو أنه فعل ما فاته شيء مما كتب له من متاع الدنيا، ولكان عند الله من الأبرار الصالحين²¹³.

4 - يزيد بن معاوية: وأما يزيد، فظاهر الأمر أنه كره قتل الحسين - رضي الله عنه - وحاول أن يمنعه من الخروج، فكتب إلى ابن عباس، يسأله أن يكف الحسين عن الخروج وحين وضعت الرأس الشريفة بين يديه وقال: لعن الله ابن مرجانة كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه²¹⁴. وهذا البكاء على الحسين، وسب ابن مرجانة لا يرفع اللوم عن يزيد، ولا يخليه من تبعه قتل الحسين وأصحابه، ذلك لأنه كان قادراً على أن يوجه أوامر صريحة لابن زياد بعدم قتل الحسين رضي الله عنه، والتصرف معه بكل حكمة وتعقل، حفظاً لرحمه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانته في قلوب المسلمين²¹⁵.

إن تحمل يزيد لمسؤولية قتل الحسين - رضي الله عنه - قائمة كيف وقد قتل في خلافته وعلى أرض تسيطر عليها جيوشه، وقد كان أمير المؤمنين - عمر بن الخطاب رضي الله عنه - يحمل نفسه مسؤولية بغلة عثرة في العراق أو في الشام، لم يسو لها الطريق، فكيف إذا كان القتلة هم جند أمير المؤمنين²¹⁶؟ إن مقتل الحسين رضي الله عنه سيظل وصمة عار ونقطة سوداء في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

الثاني عشر: أقوال الناس في يزيد وهل يجوز لعنه؟

افترق الناس في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثلاث فرق طرفان ووسط، فأحد الطرفين قالوا: إنه كان كافراً منافقاً، وأنه سعى في قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم تشفياً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانتقاماً منه، وأخذاً بثأر جده عتبة وأخي جده شيبه، وخاله الوليد بن عتبة،

²¹³ الأمويون بين المشرق والمغرب (1/244) .

²¹⁴ أنساب الأشراف (3/219 ، 220) سند حسن .

²¹⁵ العالم الإسلامي في العصر الأموي ص 478 .

²¹⁶ الأمويون بين المشرق والمغرب (1/245) .



وغيرهم ممن قتلهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي بن أبي طالب وغيره يوم بدر، وقالوا: تلك أحقاد بدرية، وآثار جاهلية وأنشدوا عنه:
لما بدت تلك الحمول وأشرفت
تلك الرؤوس على ربي

جبروني

نعق الغراب، فقلت نح أولاً تنح
فلقد قضيت من النبي ديوني

وقالوا: إنه تمثل بشعر ابن الزبير الذي أنشده يوم أحد:
ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخرج من وقع الأسل
قد قتلنا الكثير من أشياخهم
وعدلناه ببدر فاعتدل²¹⁷

وأشياء من هذا النمط وهذا القول سهل على الرافضة الذين يكفرون أبا بكر، وعمر، وعثمان، فتكفير يزيد أسهل.

والطرف الثاني: يظنون أنه كان رجلاً صالحاً وإمام عدل، وأنه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وحمله على يديه وبرك عليه، وربما فضله بعضهم على أبي بكر وعمر، وربما جعله بعضهم نبياً، ويقولون عن الشيخ عدي أو حسن المقتول - كذباً عليه - إن سبعين ولياً صرفت وجوههم عن القبلة لتوقفهم في يزيد، وهذا قول غالية العدوية.. ونحوهم من الضلال، فإن الشيخ عدياً كان من بني أمية وكان رجلاً صالحاً عابداً فاضلاً، ولم يحفظ عنه أنه دعاهم إلا إلى السنة المتي يقولها غيره كالشيخ أبي الفرج المقدسي، فإن عقيدته موافقة لعقيدته، لكن زادوا في السنة أشياء كذب وضلال، من الأحاديث الموضوعة، والتشبيه الباطل، والغلو في الشيخ عدي وفي يزيد، والغلو في ذم الرافضة، بأنه لا تقبل لهم توبة وأشياء آخر. وكلا القولين ظاهر البطلان عند من له أدنى عقل وعلم بالأمور وسير المتقدمين، ولهذا لا ينسب إلى أحد من أهل العلم المعروفين بالسنة، ولا إلى ذي عقل من العقلاء الذين لهم رأي وخبرة²¹⁸

والقول الثالث: أنه كان ملكاً من ملوك المسلمين، له حسنات وسيئات، ولم يكن كافراً، ولكن جرى بسببه ما جرى من مصرع الحسين، وفعل ما فعل بأهل الحرة، ولم يكن صاحباً ولا من أولياء الله الصالحين، وهذا قول عامة أهل العقل والعلم والسنة والجماعة. ثم افترقوا ثلاث فرق: فرقة

²¹⁷ الفتاوى (4/294).

²¹⁸ الفتاوى (4/295).



لعنته، وفرقة أحبته، وفرقة لا تسبه ولا تحبه، وهذا هو المنصوص عن الإمام أحمد وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم من جميع المسلمين. قال صالح بن أحمد: قلت لأبي: إن قوماً يقولون: إنهم يحبون يزيد، فقال: يا بني، وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقلت: يا ابت، فلماذا لا تلغنه؟ فقال: يا بني، ومتى رأيت أباك يلعن أحداً. وقال منها: سألت أحمد عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. فقال: هو الذي فعل بالمدينة ما فعل قلت: وما فعل؟ قال: قتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل. قلت: وما فعل؟ قال: نهبها. قلت: فيذكر عنه الحديث؟ لا يذكر عنه حديث. وهكذا ذكر القاضي أبو يعلى وغيره²¹⁹، وقال أبو محمد المقدسي لما سئل عن يزيد: فيما بلغني لا يُسب ولا يُحَبُّ وقال ابن تيمية: وبلغني - أيضاً - أن جدنا أبا عبد الله بن تيمية سئل عن يزيد. فقال: لا تنقص ولا تزيد. وهذا أعدل الأقوال فيه وفي أمثاله وأحسنها وأما ترك سبه ولعنته فبناء على أنه لم يثبت فسقه الذي يقتضي لعنه، أو بناء على أن الفاسق المعين لا يلعن بخصوصه، إما تحريماً، وإما تنزيهاً. فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمر في قصة ((حمار)) الذي تكرر منه شرب الخمر وجلده لما لعنه بعض الصحابة قال النبي صلى الله عليه وسلم: ولا تلغنه، فإنه يجب الله ورسوله²²⁰. وقال: لعن المؤمن كقتله²²¹ هذا مع أنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن عموماً شارب الخمر ونهى في الحديث الصحيح عن لعن هذا المعين وهذا كما أن نصوص الوعيد عامة في أكل أموال اليتامى، والزاني والسارق، فلا نشهد بها عامة على معين بأنه من أصحاب النار، لجواز تخلف المقتضى عن المقتضى لمعارض راجع: إما توبة، وإما حسنات ماهية، وإما مصائب مكفرة وإما شفاعة مقبولة وإما غير ذلك²²². ومن اللاعنين من يرى أن ترك لعنته مثل ترك سائر المباحات من فضول القول، لا لكرهه في اللعنة، وأما ترك محبته، فلأن المحبة الخاصة إنما تكون للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وليس واحداً منهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب²²³، ومن آمن بالله واليوم الآخر، لا يختار أن يكون مع يزيد ولا مع أمثاله من الملوك، الذين ليسوا بعادلين. ولترك المحبة مأخذان: أحدهما: أنه لم يصدر عنه من الأعمال الصالحة ما يوجب محبته، فبقى واحداً من الملوك المسلطين ومحبة أشخاص هذا النوع ليست مشروعة، وهذا المأخذ ومأخذ

²¹⁹ المصدر (4/295)

²²⁰ البخاري رقم 6780 .

²²¹ البخاري 6652 .

²²² الفتاوى (4/296) .

²²³ البخاري رقم 6169 .



من لم يثبت عنده فسقة أعتقد تأويلاً. والثاني: أنه صدر عنه ما يقتضي ظلمه وفسقه في سيرته من أمر الحسين وأمر أهل الحرة²²⁴.

وأما الذين لعنوه من العلماء كأبي الفرج الجوزي، والكياء الهراسي²²⁵ وغيرهما، فلما صدر عنه من الأفعال التي تبيح لعنته، ثم قد يقولون: هو فاسق، وكل فاسق يلعن، وقد يقولون بلعن صاحب المعصية وإن لم يحكم بفسقة،... وقد يلعن لخصوص ذنوبه الكبار، وإن كان لا يلعن سائر الفساق، كما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنواعاً من أهل المعاصي، وأشخاصاً من العصاة وإن لم يلعن جميعهم فهذه ثلاثة مأخذ للعنته²²⁶.

وأما الذين سوغوا محبته أو أحبوه، كالغزالي، والدستي فلهم مأخذان: أحدهما: أنه مسلم ولي أمر الأمة على عهد الصحابة وتابعه بقاياهم، وكانت فيه خصال محمودة وكان متأولاً فيما ينكر عليه من أمر الحرة وغيره، فيقولون: هو مجتهد مخطيء، ويقولون: إن أهل الحرة هم نقضوا بيعته أولاً وأنكر ذلك عليهم ابن عمر وغيره، وأما قتل الحسين فلم يأمر به ولم يرض به، بل ظهر منه التألم لقتله، وذم من قتله، ولم يحمل الرأس إليه، وإنما حمل إلى ابن زياد. والمأخذ الثاني: أنه قد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له²²⁷. وأول جيش غزاها كان أميره يزيد. والتحقيق أن هذين القولين يسوغ فيهما الاجتهاد، وكذلك محبة من يعمل حسنات وسيئات، بل لا يتنافى عندنا²²⁸ أن يجتمع في الرجل الحمد والذم، والثواب والعقاب، كذلك لا يتنافى أن يصلى عليه ويدعى له وأن يلعن ويشتم أيضاً باعتبار وجهين. فإن أهل السنة متفقون على أن فساق أهل الملة - وإن دخلوا النار، أو استحقوا دخولها فإنهم - لا بد أن يدخلوا الجنة، فيجتمع فيهم الثواب والعقاب، ولكن الخوارج والمعتزلة تنكر ذلك، وترى أن من استحق الثواب لا يستحق العقاب ومن استحق العقاب لا يستحق الثواب²²⁹. وأما جواز الدعاء للرجل وعليه... فإن موتى المسلمين يُصلى عليهم، برهم وفاجرهم، وإن لعن الفاجر مع ذلك بعينه أو بنوعه، لكن الحال الأول أوسط وأعدل، وبذلك أجاب ابن تيمية رحمه الله مقدم المغول بولاي، لما قدموا دمشق في الفتنة الكبيرة وجرت بينهما وبين غيره مخاطبات، فسأل ابن تيمية: ما تقولون في يزيد؟ فقال: لا نسبه ولا نحبه، فإنه لم يكن رجلاً صالحاً فنحبه ونحن لا نسب أحداً من المسلمين بعينه فقال أفلا تلعنونه؟ أما كان ظالماً؟ أما قتل الحسين؟ فقلت له: نحن إذا

²²⁴ الفتاوى (4/296).

²²⁵ هو علي بن محمد الطبري الملقب بعماد الدين توفي 504 هـ.

²²⁶ الفتاوى (4/297).

²²⁷ البخاري رقم 2924.

²²⁸ الفتاوى (4/297).

²²⁹ المصدر نفسه (4/297).



ذكر الظالمون - كالحجاج بن يوسف وأمثاله - نقول كما قال الله في القرآن: ((ألا لعنة الله على الظالمين)) (هود، الآية: 18) ولا نحب أن نعلن أحد بعينه، وقد لعنه قوم من العلماء، وهذا مذهب يسوع فيه الاجتهاد، لكن هذا القول أحب إلينا وأحسن وأما من قتل الحسين أو أعان على قتله، أو رضي بذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. قال: فما تحبون أهل البيت؟ قلت محبتهم عندنا فرض واجب يؤجر عليه، فإنه قد ثبت عندنا في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير يدعى خمًا، بين مكة والمدينة فقال: أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله. فذكر كتاب الله وحض عليه، ثم قال: وعترتي أهل بيتي²³⁰ قال ابن تيمية لمقدم المغول: ونحن نقول في صلاتنا كل يوم: اللهم صلى على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد. قال مقدم المغول: فمن يبغض أهل البيت؟ قال: من أبغضهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. ثم قال ابن تيمية للوزير المغولي: لأي شيء قال عن يزيد وهذا تترى؟ قال: قد قالوا له: إن أهل دمشق نواصب، قال ابن تيمية بصوت عال: يكذب الذي قال هذا، ومن قال هذا، فعليه لعنة الله، والله ما في أهل دمشق نواصب، وما علمت فيهم ناصبياً ولو تنقص أحد علياً بدمشق لقام المسلمون²³¹ عليه وعلينا أن نعرف أن لعن يزيد لم ينتشر إلا بعد أن قامت الدولة العباسية وأفسحت المجال للنيل من بني أمية²³²، وأما الحديث الذي ورد مرفوعاً: ((لا يزال أمر أمتي قائماً، حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له: يزيد، فهو حديث غير صحيح، لأن فيه أكثر من علة²³³، فقد رواه أبو يعلى في مسنده من طريق صدقة السمين، عن هشام، عن مكحول عن أبي عبيدة مرفوعاً وفيه علتان.

أ - ضعف صدقة السمين، وهو أبو معاوية، صدقة بن عبد الله السمين، الدمشقي، ضعفه ابن معين والبخاري وأبو زرعة والنسائي، وقال أحمد ما كان من حديثه مرفوعاً فهو منكر، وما كان من حديثه مرسلًا عن مكحول فهو أسهل وهو ضعيف جداً وقال أيضاً: ليس يسوى شيئاً، أحاديثه مناكير وقال الدارقطني: متروك²³⁴

ب - أن هناك انقطاعاً بين مكحول وأبي عبيدة لأنه لم يدركه²³⁵.

²³⁰ مسند أحمد (4/367).

²³¹ الفتاوى (4/297، 298).

²³² مواقف المعارضة ص 501.

²³³ أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص 204 مسند أبو يعلى رقم 870.

²³⁴ تهذيب التهذيب (4/381).

²³⁵ أحداث وأحاديث ص 204.



وقد تحدث ابن كثير عن الأحاديث في ذم يزيد فقال: وقد أورد ابن عساكر أحاديث في ذم يزيد بن معاوية كلها موضوعة لا يصح منها شيء، وأجود ما ورد ما ذكرناه على ضعف أسانيده وانقطاع بعضه، والله أعلم²³⁶

الثالث عشر : التحذير من أساطير حول مقتل الحسين رضي الله عنه:

إن الشيعة بالغوا في نقل أخبار تلك الحادثة، وامتلت كتب التاريخ بحوادث عجيبة قيل إنها وقعت إثر مقتل الحسين، من احمرار الأفق، وتدفق الدماء من تحت الحجارة، وبكاء الجن، إلى غير ذلك من الخيال الذي نسجته عقول الشيعة يومئذ، وما زالوا يرددونه إلى اليوم تضخيماً لهذا الحادث على حساب غيره من الأحداث الأخرى²³⁷، وإن الذي يدرس أسانيد تلك الأخبار والروايات لا يرى إلا ضعفاً هالكاً، أو مجهولاً لا يعرف أصله أو مدلساً يريد تعمية الأبصار عن الحقائق²³⁸، ومن أكاذيب مؤرخي الشيعة على سبيل المثال في هذه الموقعة أن السبايا حملن على نجائب الأبل عرايا حتى أن الإبل البخاتي²³⁹ إنما نبتت لها الأسنان من ذلك اليوم لتستر عوارتهن من قبلهن ودبرهن²⁴⁰. وقال ابن كثير: ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة وكذباً فاحشاً، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم، وما رفع يومئذ حجر إلا وجد تحته دم، وإن أرجاء السماء احمرّت، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم وصارت السماء كأنها علقة، وأن الكواكب صار يضرب بعضها بعضاً، وأمطرت السماء دماً أحمر، وأن الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذ. وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الإمارة جعلت الحيطان تسيل دماً، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام، ولم يمس زعفران ولا ورس مما كان معه يومئذ إلا احترق مسّه، ولم يرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحته دم عبيط. وأن الإبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم. إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء²⁴¹.

• **انتقام الله من قتلة الحسين:** وأما ما روي من الأمور والفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح فإنه قلّ من نجا منهم في الدنيا إلا أصيب بمرض، وأكثرهم أصابه الجنون، وللشيعة والرافضة في صفة مصرع الحسين رضي الله عنه، كذب كثير وأخبار طويلة، وفيما ذكرناه كفاية

²³⁶ البداية والنهاية نقلاً عن أحداث وأحاديث ص 204 .

²³⁷ أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص 204 .

²³⁸ المصدر نفسه ص 213 .

²³⁹ البخت : الأبل الخراسانية .

²⁴⁰ البداية والنهاية (11/564 ، 565) .

²⁴¹ البداية والنهاية (11/576) .



وفي بعض ما أوردنا نظراً، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفاظ الأئمة ذكروه ما سُقته وأكثره من رواية أبي مخنف لوط ابن يحيى، وقد كان شيعياً وهو ضعيف الحديث عند الأئمة ولكنه أخباري حافظ عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنِّفين ممَّن بعده والله أعلم²⁴². ويقول ابن تيمية رحمه الله: وأما السؤال عن سبِّي أهل البيت وإراكابهم حتى نبت لها سنامان وهي البَحَّاتي ليستتروا بذلك، فهذا من أقبح الكذب وأبينه وهو مما افتراه الزنادقة والمنافقون، الذين مقصودهم الطعن في الإسلام، وأهله من أهل البيت، وغيرهم، فإن من سمع مثل هذا وشهرته وما فيه من الكذب قد يظن أو يقول إن المنقول إلينا من معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء هو من الجنس، ثم إذا تبين أن الأمة سبَّت أهل بيت نبيها، كان فيها من الطعن في خير أمة أخرجت للناس ما لا يعلمه إلا الله، إذ كل عاقل يعلم أن الإبل البَحَّاتي كانت مخلوقة موجودة قبل أن يبعث الله النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل وجود أهل البيت، كوجود غيرها من الإبل والغنم، والبقر والخيول والبغال²⁴³، وللأسف الشديد، فقد شحنت المصادر التاريخية الإسلامية، مثل تاريخ الطبري، وتاريخ ابن عساكر وغيرهما بمثل هذه الأباطيل والأكاذيب، ممَّا يتطلب تحقيقاً علمياً لهذين الكتابين خاصة، ولغيرهما من كتب التاريخ²⁴⁴.

الرابع عشر : ما قيل من رثاء في الحسين رضي الله عنه :

قال سليمان بن قُتَّة التيمي:

وإن قتيل الطَّف من آل هاشم
أذل رقاباً من قريش فذلت
مررت على أبيات آل محمد
فألفيتها أمثالها حين حُلت
وكانوا لنا عُنماً فعادوا زبَّة
لقد عظمت تلك الرازيا وجَلَّت
فلا يبعد الله الديار وأهلها
وإن أصبحت منهم برغمي تخلت
إذا افتقرت قيسُ جبرنا فقيرها
وتقتلنا قيس إذا النُّعلُ زلت
وعند غنيِّ قطرة من دماءنا
سنجزئهم يوماً بها حيث حَلَّت

²⁴² المصدر نفسه (11/577).

²⁴³ الفتاوى (4/306).

²⁴⁴ أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص 213.



ألم تر أن الأرض أضحت مريضة
لقد حسين والبلاد أقشعرت²⁴⁵

وقال أبو الأسود الدِّئلي في قتل الحسين رضي الله عنه:
أقول وذاك من جزع ووجد
أزال الله ملك بني زياد
وأبعدهم بما غدروا وخانوا
كما بعدت ثمود وقوم عاد
هموا حَسَمُوا الأنوف وكنا شُمَّا
لقتل ابن القُعَاسِ أخي مراد²⁴⁶
قتيل السوق يا لك من قتيل
به نضح من أحمر كالجِساد
وأهل نبينا من قبل كانوا
ذوي كرم دعائم للبلاد
حسين ذو الفضول وذو المعالي
يزين الحاضرين وكَلَّ باد
أصاب العِزَّ مَهْلِكُهُ فأضحى
عميداً بعد مصرعه فؤادي²⁴⁷

وقال عبيد الله بن الحر أيضاً:
يا لك حسرة ما دمت حيا
تردد بين حلقي والتراقي
حسيناً حين يطلب بذل نصري
على أهل العداوة والشقاق
ولو أني أواسيه بنفسي
لنلت كرامة يوم التلاق
مع ابن المصطفى نفسي فداه
فولّي ثم ودّع بالفراق
غداة يقول لي بالقصر²⁴⁸ قولا
أتركنا وتُزَمع بالطلاق؟
فلو فلق التلّهفُ قلب حيّ
لهمّ اليومَ قلبي بانطلاق
فقد فاز الأولى نصرُوا حسيناً

²⁴⁵ الطبقات (1/512) تحقيق السلمي .

²⁴⁶ ابن القُعَاس : وصف لهانيء عروة يقال: رجل أقعس : ثابت عزيز منيع لسان العرب (6/177) .

²⁴⁷ الطبقات تحقيق السلمي (1/512) .

²⁴⁸ القصر هو قصر بني مقاتل وهو المكان الذي التقى فيه مع الحسين .



249 وخاب الآخرون أولو النفاق

وقال شاعر الإسلام محمد أقبال:

وحسين في الأبرار والأحرار
ما أركى شمائله وما أنداها
فتعلموا ريّ اليقين من الحسين
إذا الحسين وقد أجاب نداها
الأمهات يلدن للشمس الضياء
وللجواهر حسنهما وصفها²⁵⁰

المبحث الرابع : أهم الدروس والعبر والفوائد:

أولاً : يوم عاشوراء: وهو اليوم العاشر من محرم الحرام، وقد ابتدئ فيه بدع منكراً، وهلك فيه طائفتان بين إفراط وتفريط طائفة تجعله يوم فرح وسرور وأخرى يوم حزن ونياحة²⁵¹.

لقد غلت الشيعة في مقتل الحسين رضي الله عنه غلواً مفرطاً فجعلوا يوم استشهاده رضي الله عنه العاشر من محرم مأتماً وحنناً ونياحة يكررونه في كل عام إلى يومنا هذا ورتبوا على هذا الفعل الأجر والثواب، فهو جالب للمغفرة والرحمة، مكفرة للذنوب والخطايا في زعمهم²⁵². فقد روي الطوسي في أماليه بسنده عن الرضا عليه السلام أنه قال من ترك السعي في حوائج يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة، يوم فرحه، وسروره وقرت بنا في الجنان عينه²⁵³، وبسنده أيضاً عن أبي عمارة الكوفي قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: من دمعت عينه دمة لدم سفك لنا أو حق لنا أنقضاه أو عرض انتهك لنا أو لأحد من شيعتنا بواه الله تعالى بها في الجنة أحقاباً²⁵⁴. وروي المبرفي بسنده عن جعفر الصادق أنه قال: من ذكر عنده الحسين فخرج من عينه دمع مثل جناح بعوضة غفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر²⁵⁵. وقد بوب المجلسي باباً قال فيه: باب ثواب البكاء على مصيبته ومصائب سائر الأئمة وفيه أدب المأتم يوم عاشوراء، وساق فيه أكثر من ثمان وثلاثين رواية²⁵⁶ منها ما رواه بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء

²⁴⁹ الطبقات (1/516).

²⁵⁰ الدوحة النبوية ص 130.

²⁵¹ الأعياد وأثرها على المسلمين، سليمان السجمي ص 261.

²⁵² العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص، 490.

²⁵³ أمالي الطوسي ص 194 بحار الأنوار (44/284).

²⁵⁴ البحار (44/279) أمالي المفيد ص 112.

²⁵⁵ المحاسن ص 36، البحار (44/289).

²⁵⁶ البحار (44/278 - 296).



على الحسين عليه السلام²⁵⁷. بل زعموا أن السماء والأرض بكت لقتله فأمرت السماء دماً وتراباً أحمر، كما بكت الملائكة والجن وسائر المخلوقات²⁵⁸، ولم يكتفوا بذلك حتى قالوا بتحريم يوم عاشوراء وأن من صامه فهو عدو للحسين وأهل بيته رضي الله عنهم أجمعين²⁵⁹، فقد روى الكليني بسنده عن جعفر بن عيسى قال: سألت الرضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه، فقال: عن صوم ابن مرجانة تسألني، ذلك يوم صامه الأدياء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام وهو يوم يتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وسلم ويتشاءم به أهل الإسلام لا يصام ولا يتبرك به ويوم الاثنين يوم نحس قبض الله عز وجل فيه نبيه وما أصيب آل محمد إلا في يوم الاثنين فتشاءمنا به وتبرك به ابن مرجانة وتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وسلم، فمن صامهما أو تبرك بهما لقي الله تبارك وتعالى ممسوخ القلب وكان حشره مع الذين سنوا صومهما والتبرك بهما²⁶⁰. والأكاذيب في هذا الباب كثيرة. وهذه الماتم تظهر علناً كلما قويت شوكة الشيعة أو ظهرت لهم دولة ففي دولة بني بويه الشيعية في سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة أُلزم معز الدولة ابن بابويه يوم عاشوراء أهل بغداد بالنواح على الحسين رضي الله عنه، وأمر بغلق الأسواق ومنع الطباخين من عمل الأطعمة، وخرجت نساء الشيعة منشرات الشعور مضحكات الوجوه يلطنن ويفتن الناس، وهذا أول ما نيج عليه²⁶¹، كما اتخذت الدولة العبيدية الفاطمية على كثرة أعيادها ومناسباتها يوم عاشوراء يوم حزن ونياحة فكانت تتعطل فيه الأسواق ويخرج فيه المنشدون في الطرقات، وكان الخليفة يجلس في ذلك اليوم مثلثاً يرى به الحزن كما كان القضاة، والمدعاة، والأشراف، والأمراء يظهرون وهم ملثمون حفاة، فيأخذ الشعراء بالإنشاد ورثاء أهل البيت وسرد الروايات والقصص التي اختلقوها في مقتل الحسين رضي الله عنه²⁶². ومن مظاهرهم في هذه الأيام خروج المواكب العزائية في الطرقات والشوارع مظهرين اللطم بالأيدي على الخدود والصدور، والضرب بالسلاسل والحديد على الأكتاف حتى تسيل الدماء²⁶³ وقد وصف ابن كثير ما يفعل الشيعة من تعدي لحدود الكتاب والسنة في دولة بني بويه في حدود الأربعمئة وما حولها فقال: فكانت الدباب²⁶⁴ تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء ويُدْرُ الرماد والتبن في الطرقات والأسواق وتعلق المسوح على الدكاكين ويظهر

²⁵⁷ المصدر نفسه (44/280).

²⁵⁸ المصدر نفسه (44/285 - 286).

²⁵⁹ العقيدة في أهل البيت ص 492.

²⁶⁰ الكافي (4/146) الاستبصار (2/35) البحار (45/59).

²⁶¹ العبر للذهبي (2/89) (البداية والنهاية (11/577)).

²⁶² الخطط للمقريزي (1/431).

²⁶³ العقيدة في أهل البيت ص 494.

²⁶⁴ الدباب : جمع الدباب وهو الطيل.



الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئذ موافقه للحسين، لأنه قتل عطشان ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة والأهواء الفظيعة والهتائك المخترعة وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يُشتعوا على دولة بني أمية، لأنه قتل في أيامهم²⁶⁵.

وقد جَوَّز علماء الشيعة ما يسمونه بالمواكب العزائية فقد أجاب محمد حسين الغروي النائيني عندما وجهت إليه أسئلة حول المواكب العزائية إذ قال:

1 - خروج المواكب العزائية في عشرة عاشوراء ونحوها إلى الطرقات والشوارع مما لا شبهة في جوازه ورجحانه وكونه من أظهر مصاديق ما يقوم به عزاء المظلوم وأيسر الوسائل لتبليغ الدعوة الحسينية إلى كل قريب وبعيد.

2 - لا إشكال في جواز اللطم بالأيدي على الخدود والصدور حد الاحمرار والإسوداد بل يقوي جواز الضرب بالسلاسل أيضاً على الأكتاف والظهور إلى الحد المذكور بل وإن تاذى كل من اللطم والضرب إلى خروج دم يسير على الأقوى، وأما إخراج الدم من الناحية بالسيوف والقامات فالأقوى جواز ما كان ضرره مأموناً.

3 - الظاهر عدم الإشكال في جواز التشبهات والتمثيلات التي جرت عادة الشيعة الإمامية باتخاذها لإقامة العزاء والبكاء والإبكاء منذ قرون وإن تضمنت لبس الرجال ملابس النساء على الأقوى، فهذه الفتوى المعمول بها اليوم لدى الشيعة وعليها الإجماع وقد قرنها أكثر من إثني عشر من علمائهم²⁶⁶، وفي وصف هذه المظاهر يقول ناصر الدين شاه: وفي الهند وباكستان وإيران والعراق تكتسي هذه المآتم حلاً مركبة إذ يخرج الرجال في الطرقات وهم يسيرون وراء هودج قد يبالغون في ارتفاعه حتى يبلغ بضعة أمتار وهم عراة وفي أيديهم زناجير من حديد وفي رؤوسها شفرات صغيرة حادة يضربون بها صدورهم وظهورهم حتى تسيل الدماء منهم، وفي كثير من الأحيان يموت بعضهم، أما النساء فإنهن يجلسن في دورهن ينحنن ويبكين ويلطمن صدورهن بأيديهن كل هذا تكريماً للحسين الذي قتل مظلوماً بزعمهم²⁶⁷، ويقول السيد محسن الأمين الحسيني العاملي معللاً إقامة المآتم، ونريد بإقامة المآتم البكاء لقتله (عليه السلام) بإخراج الدم بصوت وبدونه والتعرض لما يسبب ذلك وإظهار شعار الحزن والتأسف والتألم لما صدر عليه، وتذكر مصابه ونظم الأشعار في رثائه، وتلاوتها واستماعها وتهيج

²⁶⁵ البداية والنهاية (11/577).

²⁶⁶ مقتل الحسين وفتاوى العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر للشيخ مرتضى عباد ص 12 - 40 وممن قرنها وأقرها، العقيدة في أهل البيت ص 495.

²⁶⁷ العقائد الشيعية ص 135.



النفوس بها للحزن والبكاء²⁶⁸. ولم يكتفوا بذلك يقول الخميني: إن البكاء على سيد الشهداء عليه السلام وإقامة المجالس الحسينية هي التي حفظت الإسلام منذ أربعة عشر قرناً²⁶⁹. فمتى كان البكاء دعوة ومتى كان العويل جهاداً فهذا معتقد الشيعة الإمامية في مقتل الحسين وفي يوم عاشوراء فهل هذا الفعل من الإسلام في شيء؟

إن الحسين رضي الله عنه بريء من تلك الأفعال المذكورة لئن الإسلام الذي جاء به جده عليه الصلاة والسلام لا يجوّز تلك الأفعال فقد قال صلى الله عليه وسلم: ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدوى²⁷⁰ الجاهلية وقال صلى الله عليه وسلم: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال²⁷¹ من قطران²⁷²، ودرع من جرب²⁷³، وقال صلى الله عليه وسلم: أنا بريء من الصالقة والحالقة والشاقة²⁷⁴، كما أن ما يفعله الشيعة في الحسينيات والمآتم تحت مسمى الشعائر الحسينية مثل: اللطم والنياحة ولبس السواد، والتطبير وغيرها والتي أفتى علماءهم وعظماؤهم بجوازها فإنها محرمة على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى أئمة أهل البيت الكرام في المصادر الشيعية القديمة والحديثة، واعترف بهذا التحريم شيوخ وأعلام المذهب الشيعي الإثني عشر²⁷⁵، فهذا محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب عند الشيعة بالصدوق قال: من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لم يسبق إليها: النياحة من عمل الجاهلية²⁷⁶. ورواه محمد باقر المجلسي بلفظ: النياحة عمل الجاهلية²⁷⁷، فالنوح الذي استمرت عليه الشيعة جيلاً بعد جيل بعد جيل من عمل الجاهلية كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم²⁷⁸. ومن هذه الروايات التي تنهي عما يقترفه الشيعة في الحسينيات ما قاله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: وإياك والنواح على الميت ببلد يكون لك به سلطان²⁷⁹، وقوله: ثلاث من أعمال الجاهلية لا يزال فيها الناس حتى تقوم الساعة: الاستسقاء بالنجوم والظعن في الأنساب والنياحة على الموتى²⁸⁰، ومن الأدلة قول الإمام الباقر: أشد الجزع الصراخ بالويل والعويل ولطم الوجه والصدر وجز الشعر من

²⁶⁸ إقناع اللائم على إقامة المآتم ص 2 .

²⁶⁹ عقيدة أهل السنة في أهل البيت ص 496 نقلًا عن كشف الأسرار .

²⁷⁰ البخاري رقم 1294 .

²⁷¹ السربال : القميص .

²⁷² القطران : هو النحاس المذاب شديدة الحرارة .

²⁷³ مسلم رقم 934 .

²⁷⁴ الصالقة التي تصيح والحالقة التي تحلق شعرها والشاقة التي تشق جيبها، مسلم ، ك الإيمان رقم 167 .

²⁷⁵ من قتل الحسين ص 73 .

²⁷⁶ من لا يحضره الفقيه (4/271 - 272) .

²⁷⁷ بحار الأنوار (82/103) .

²⁷⁸ من قتل الحسين ص 73 .

²⁷⁹ مستدرک الوسائل للنوري (1/44) .

²⁸⁰ بحار الأنوار (82/101) .



النواصي، ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر وأخذ في غير طريقه²⁸¹، وقد أنكر ما يحدث من ضرب الرؤوس بالخناجر والسيوف وإسالة الدماء الشيخ حسن مغنية: والواقع أن ضرب الرؤوس بالخناجر والسيوف وإسالة الدماء ليست من الإسلام في شيء ولم يرد فيها نص صريح ولكنها عاطفة نبيلة تجيش في نفوس المؤمنين لما أريق من الدماء الزكية على مذابح فاجعة كربلاء²⁸²، ولا شك إن هذه الأمور من المنكرات والبدع الشنيعة²⁸³. **إن الإسلام علمنا آداب المصائب ومقتل الحسين رضي الله عنه مصيبة عظيمة، فمن آداب الإسلام في المصائب.**

1 - الصبر عليها:

وهذا أعظم آدابها، أن يصبر المؤمن على المصيبة التي تنزل به، ومن هذا الصبر حبس القلب عن التسخط، وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عما يغضب الله تعالى من لطم الخدود، وشق الجيوب وخمش الوجوه، وتنف الشعر والدعاء بدعوة الجاهلية وينبغي أن يكون هذا الصبر عند سماع الإنسان خبر المصيبة لأول مرة وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: إنما الصبر عند الصدمة الأولى²⁸⁴.

2 - احتساب المصيبة والصبر عليها: فينبغي أن يلتمس الأجر

من الله تعالى في هذا الصبر، فيصبر ابتغاء موعود الله من الأجر والثواب ويصبر لأن الله أمره بالصبر، فقال عز وجل: ((واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)) (لقمان الآية ، 17)، ويتذكر إن فقد عزيزاً لديه، قول النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: ما لعبيد المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيته من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة²⁸⁵، وصفيته: أي حبيبه من ولد أو والد أو نحوه. وهكذا فإن الله تعالى وعد بالأجر العظيم على الصبر على المصائب، ولكن بشرط أن يكون الصبر ابتغاء وجه الله تعالى، كما قال عز وجل ((وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ)) (الرعد : 22) ، فينبغي أن يكون الصبر لله تعالى، ولا صبر المغلوب. بل صبر الراضي بقضاء الله، المسلم به²⁸⁶.

3 - الاسترجاع ودعاء المصيبة: فيقول المرء عند نزول المصيبة:

إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى، وأخلف لي خيراً منها. فقد قال اله عز وجل ((وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)) (البقرة ،

²⁸¹ الكافي للكليني (3/222 - 223) .

²⁸² آداب المنابر ص 182 .

²⁸³ من قتل الحسين ص 83 .

²⁸⁴ البخاري رقم 1283 .

²⁸⁵ البخاري رقم 4624 .

²⁸⁶ موسوعة الآداب الإسلامية ، عبد العزيز فتحي (2/786) .



(الآيات : 155 - 157). وقال صلى الله عليه وسلم: ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها²⁸⁷، قالت أم سلمة: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم إنني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله²⁸⁸.

ويقول كذلك: الله ربي لا شريك له: فإن ذلك يكشف عنه المصائب والبلاء بإذن الله، وقد قال صلى الله عليه وسلم: من أصابه هم أو غم، أو سقم، أو شدة فقال: الله ربي لا شريك له. كشف ذلك عنه²⁸⁹، ويدعو كذلك بدعاء المكروب الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت²⁹⁰، ويقول كذلك كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: فإنه صلى الله عليه وسلم: كان إذا كربه أمر قال: يا حي يا قيوم، برحمتك استغيث²⁹¹.

4 - اجتناب كل ما يغضب الله: وذلك من جنس الجهر بالسوء من القول، واللطم، وشق الجيوب، وحلق الشعور، والنياحة والشكوى إلى الناس والدعاء بالموت، والويل والثبور، وغير ذلك، فهذا كله يغضب الله تعالى، وينافي الصبر على المصائب والرضا بها²⁹².

5 - تهوين المصيبة على النفس بتذكرة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم:

فإن وفاته وانقطاع وحي السماء من أعظم المصائب التي نزلت بالأمة، وبكل مسلم، وإذا تذكر المصاب بمصيبة ما تلك المصيبة العظيمة بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهون ذلك عليه مصيبته التي نزلت به، فإن المصيبة العظيمة لا تهون إلا بالنظر إلى ما هو أعظم منها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب²⁹³.

6 - مشاهدة النعمة في المصيبة: فمن أدب المسلم مع المصيبة أن يشاهد فيها نعمة الله تعالى، ولئن كان قتل الحسين - رضي الله عنه - عظيماً وشراً كبيراً، فإنه بالنسبة له خير وإكرام يقول ابن تيمية - رحمه الله -

²⁸⁷ مسلم رقم 918 .

²⁸⁸ مسلم رقم 918 .

²⁸⁹ صحيح الجامع رقم 6040 .

²⁹⁰ سنن أبي داود رقم 5090 ، صحيح الجامع رقم 3388 .

²⁹¹ سنن الترمذي رقم 3524 صحيح الجامع .

²⁹² موسوعة الآداب الإسلامية (2/788) .

²⁹³ البيهقي في شعب الإيمان رقم 10152 ، صحيح الجامع 347 .



فلما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما - يوم عاشوراء قتله الطائفة الظالمة الباغية وأكرم الله تعالى الحسين بالشهادة كما أكرم بها من أكرم من أهل بيته. أكرم بها حمزة وجعفر وأباه علياً وغيرهم، وكانت شهادته مما رفع الله بها منزلته وأعلى درجته، فإنه هو وأخوه الحسن سيدي شباب أهل الجنة والمنازل العالية لا تنال إلا بالبلاء كما قال صلى الله عليه وسلم لما سئل: أي الناس أشد بلاء؟ فقال: الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خُف عنه، ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة²⁹⁴. فكان الحسن والحسين قد سبق لهما من الله تعالى - ما سبق من المنزلة العالية، ولم يكن حصل لهما من البلاء ما حصل لسلفهما الطيب، فإنهما وُلدا في عز الإسلام، وتربيا في عز وكرامة، والمسلمون يعظموهما، ويكرمونهما، ومات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يستكمل سن التمييز، فكانت نعمة الله عليهما أن ابتلاههما بما يلحقهما بأهل بيتهما، كما ابتلى من كان أفضل منهما فإن علي بن أبي طالب أفضل منهما، وقد قُتل شهيداً²⁹⁵.

7 - تذكر القضاء السابق: فإن المسلم متى ما أيقن إن هذه المصائب مكتوبة، ومقدرة، ومتى ما استحضر في ذهنه أن كل ما قدره الله فهو لا بد كائن واقع لا محيد عنه، وأن لله تعالى حكمة في تقدير هذه المصائب، كلما تذكر هذه الأمور هانت عليه المصائب²⁹⁶، قال تعالى: ((مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)) (الحديد، الآيتان: 22 - 23).

8 - رأي ابن تيمية وابن كثير في ما يحدثه الشيعة يوم عاشوراء:

أ - قال ابن تيمية: وصار الشيطان بسبب قتل الحسين رضي الله عنه يحدث للناس بدعتين بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي وما يفضي إلى ذلك من سب السلف الصالح ولعنهم وإدخال من لا ذنب له من ذوي الذنوب حتى يسب السابقون الأولون وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب وقصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة، فإن هذا ليس واجباً ولا مستحباً باتفاق المسلمين بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من أعظم ما حرم الله

²⁹⁴ الترمذي رقم 2398 حسن صحيح .

²⁹⁵ الفتاوى (25/162) .

²⁹⁶ موسوعة الآداب الإسلامية (2/790) .



ورسوله²⁹⁷. والذي أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم في المصيبة إذا كانت جديدة إنما هو الصبر والاحتساب والاسترجاع... وإذا كان الله قد أمر بالصبر والاحتساب والاسترجاع... وإذا كان الله قد أمر بالصبر والاحتساب عند حدثان العهد بالمصيبة، فكيف مع طول الزمان؟ فكان ما زينه الشيطان لأهل الضلال والغي من إتخاذ يوم عاشور مأتماً وما يصنعون فيه من الندب والنياحة، وإنشاد قصائد الحزن ورواية الأخبار التي فيها كذب كثير والصدق فيها ليس فيه إلا تجديد الحزن والتعصب، وإثارة الشحناء والحرب وإلقاء الفتن بين أهل الإسلام، والتوسل بذلك إلى سب السابقين الأولين، وكثرة الكذب والفتن في الدنيا²⁹⁸.

ب - وأما ابن كثير فيقول: فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه هذا الذي وقع من قتله رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين وعلماء الصحابة، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي أفضل بناته، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخياً ولكن لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع ورياء وقد كان أبوه أفضل منه وهم لا يتخذون مقتله مأتماً كيوم مقتل الحسين، فإن أباه قتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة وقد قُتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد، ولم يتخذ الناس يوم مقتله مأتماً، وكذلك عمر بن الخطاب، وهو أفضل من عثمان وعلي، قُتل وهو قائم يُصلي في المحراب صلاة الفجر وهو يقرأ القرآن، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً، وكذلك الصديق كان أفضل منه، ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتماً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله ولم يتخذ أحد يوم موته مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين، ولا ذكر أحد يوم موتهم وقبلهم شيء مما ادّعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة مثل كسوف الشمس والحمرة التي تطلع في السماء وغير ذلك وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب²⁹⁹ وأمثالها ما رواه الحسين بن علي عن جدّه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من مسلم يصاب بمصيبة فيتذكرها وإن تقادم عهدها، فيحدثُ بها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب بها³⁰⁰. يقول ابن تيمية تعليقا على هذا الحديث: هذا حديث رواه عن الحسين ابنته فاطمة التي شهدت مصرعه وقد علم أن

²⁹⁷ منهاج السنة (4/554).

²⁹⁸ الفتاوى (25/165، 166).

²⁹⁹ البداية والنهاية (11/579).

³⁰⁰ سنن ابن ماجه رقم 1600 فى إسناده ضعف، ضعيف سنن ابن ماجه رقم 349.



المصيبة بالحسين تذكر مع تقادم العهد، فكان من محاسن الإسلام أن بلغ هو هذه السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أنه كلما ذكرت هذه المصيبة يسترجع لها، فيكون للإنسان من الأجر يوم أصيب بها المسلمون وأما من فعل مع تقادم العهد بها ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم عند حدثان العهد بالمصيبة فعقوبته أشد مثل لطم الخدود وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية³⁰¹.

9 - من يتخذ عاشوراء عيداً :

هم من النواصب، والنواصب إحدى طوائف أهل البدع التي أصيبت في معتقدها بعدم التوفيق للإعتقاد الصحيح في الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فقد زين لهم الشيطان عدم محبة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وحملهم على التدين ببغضه وعداوته والقول فيه بما هو بريء منه، كما تعدى بغضهم إلى غيره من أهل البيت كابنه الحسين بن علي رضي الله عنهما وغيره فالنصب هو بغض علي رضي الله عنه والنيل منه والإنحراف عنه، وسمي من كانت هذه صفته ناصبياً، فالنصب كالرفض لأن الرفض هو بغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والنيل منهم بالشتم والسب وكلاهما ضلال وابتعاد عن منهج الله، في وجوب حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة سابقتهم في الإسلام وجهادهم بأنفسهم وأموالهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم³⁰²، فإذا كانت الشيعة اتخذت يوم عاشوراء مأتماً وحرناً اتخذته طائفة أخرى عيداً وموسماً للفرح والسرور وهم إما من النواصب المتعصبين على الحسين وأهل بيته رضي الله عنه، وإما من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد والكذب بالكذب والشر بالشر والبدعة بالبدعة، فوضعوا الآثار في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء كالاكتحال والإختضاب وتوسيع النفقات على العيال وطبخ الأطعمة الخارجة عن العادة ونحو ذلك مما يفعل في الأعياد والمواسم، فصار هؤلاء يتخذون يوم عاشوراء موسماً كمواسم الأعياد والأفراح مقابلة لأولئك وهي بدعة ثانية ومما ورد في ذلك من أحاديث موضوعة ومكذوبة ما يلي

أ - حديث: من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سنته³⁰³.

ب - ابتداء صلاة مخصوصة في يومه وليلته: روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى لله يوم عاشوراء ما بين الظهر والعصر أربعين ركعة يقرأ في كل رقعة بفاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي عشر مرات وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة والمعوذتين خمس

³⁰¹ الفتاوى (4/312).

³⁰² عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (3/1193)، (1194).

³⁰³ الموضوعات لابن الجوزي (2/203).



مرات فإذا سلم استغفر سبعين مرة أعطاه الله في الفردوس قبة بيضاء³⁰⁴، وغير ذلك من البدع التي أحدثت في ذلك اليوم والتي لا أصل لها في دين الله عز وجل³⁰⁵. وقد سئل ابن تيمية عما يفعله الناس في عاشوراء من الكحل والاعتسال والحناء والمصافحة وطبخ الحبوب وإظهار السرور وعزوا ذلك إلى الشارع فهل ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك حديث صحيح أم لا؟ وإذا لم يرد حديث صحيح في شيء من ذلك فهل يكون فعل ذلك بدعة أم لا؟ فأجاب: الحمد لله رب العالمين لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ولا استحبه ذلك أحد من أئمة المسلمين ولا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا روي أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئاً لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن التابعين لا صحيحاً ولا ضعيفاً. ولا في كتب الصحيح ولا في السنن ولا في المسانيد، ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة وإنما حصلت هذه البدع في يوم عاشوراء، لأن الكوفة كان فيها طائفتان طائفة رافضة يظهرون موالاته أهل البيت وهم في الباطن إما ملاحدة زنادقة وإما جهال وأصحاب هوى وطائفة ناصبة تبغض علياً وأصحابه لما جرى من القتال في الفتنة ما جرى³⁰⁶. فوضعت الآثار في الاحتفال بعاشوراء لما ظهرت العصبية بين الناصبة والرافضة فإن هؤلاء اتخذوا يوم عاشوراء مآتماً، فوضع أولئك آثار تقتضي التوسع فيه واتخاذة عيداً وكلاهما باطل. فهؤلاء فيهم يدع وضلال وأولئك فيهم بدع وضلال³⁰⁷. فمن جعل يوم عاشوراء مآتماً وحنناً ونياحة، أو جعله يوم عيد وفرح وسرور فقد ابتدع في الدين وخالف سنة سيد المرسلين³⁰⁸.

10 - هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في يوم عاشوراء:

يوم عاشوراء من الأيام الفاضلة التي حث النبي صلى الله عليه وسلم على صيامها، فجاء في الحديث الصحيح عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه قال: ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا الدهر كله، وصيام عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده، وصيام عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله³⁰⁹، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضله على

³⁰⁴ الموضوعات (2/122 - 123).

³⁰⁵ المدخل لابن الحاج (1/290 - 291) الأعياد ص 274.

³⁰⁶ الفتاوى (25/161).

³⁰⁷ اقتضاء الصراط المستقيم (2/622 - 623).

³⁰⁸ الأعياد وأثرها على المسلمين ص 276.

³⁰⁹ مسلم رقم 1162.



غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء وهذا الشهر يعني شهر رمضان³¹⁰، فالسنة إذا في اليوم هذا الصيام فحسب وقد صامه صلى الله عليه وسلم وأخبر بفضل صيامه كما في الحديث السابق وأمر بقيامه، فقد جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة.

أ - فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن أهل الجاهلية كانوا يصومون عاشوراء، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صامه والمسلمون قبل أن يفترض رمضان فلما افترض رمضان. قال: صلى الله عليه وسلم: إن عاشوراء من أيام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه³¹¹.

ب - وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه. وعنه أيضاً قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: بصوم يوم عاشوراء العاشر³¹².

ج - وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا يوم التاسع. قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع³¹³. وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود صوموا قبله يوماً وبعده يوماً³¹⁴.

ولقد ذكر العلماء أن صوم يوم عاشوراء على ثلاث مراتب:

أ - صوم التاسع والعاشر والحادي عشر لحديث: صوموا قبله يوماً وبعده يوماً.

ب - صوم التاسع والعاشر لحديث: إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا التاسع.

ج - إفراده بالصوم أي صوم يوم عاشوراء وحده، للأحاديث الدالة على تأكيد صومه³¹⁵.

³¹⁰ البخاري رقم 2006 .

³¹¹ مسلم رقم 1126 .

³¹² مسلم رقم 1134 .

³¹³ مسلم رقم 1134 .

³¹⁴ السنن الكبرى للبيهقي ، ك الصيام (4/287) .

³¹⁵ زاد المعاد (2/76) فتح الباري (4/246) .



فهذا هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عاشوراء ومن هنا تتجلى وسطية أهل السنة والجماعة فلا إفراط ولا تفريط إنما هو تمسك بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم وامتنال لأمره رجاء لثواب الله تعالى.

ثانياً : التحقيق في مكان رأس الحسين رضي الله عنه :

إن سبب الاختلاف في موضع رأس الحسين رضي الله عنه عند عامة الناس إنما هو ناتج عن تلك المشاهد المنتشرة في ديار المسلمين والتي أقيمت في عصور التخلف الفكري والعقدي - وكلها تدعي وجود رأس الحسين ثم إن الجهل بموضع رأس الحسين جعل كل طائفة تنتصر لرأيها في إدعاء وجود الرأس عندها وإذا أردنا التحقيق في مكان الرأس فإنه يلزمنا تتبع وجود الرأس منذ إنتهاء معركة كربلاء³¹⁶. لقد ثبت أن رأس الحسين حمل إلى ابن زياد فجعل الرأس في طست وأخذ يضربه بقضيب كان في يده، فقام إليه أنس بن مالك رضي الله عنه وقال: لقد كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم³¹⁷. ثم بعد ذلك تختلف الروايات والآراء اختلافاً بيناً بشأن رأس الحسين رضي الله عنه ولكن بعد دراسة الروايات التي ذكرت أن ابن زياد أرسل الرأس إلى يزيد بن معاوية وجدت أن الروايات على النحو التالي، هناك روايات ذكرت أن الرأس أرسل إلى يزيد بن معاوية، وأخذ يزيد ينكت بالقضيب في فم الحسين، الأمر الذي حدا بأبي برزة الأسلمي رضي الله عنه على أن ينكر على يزيد فعلته، ولكن هذه الرواية التي ذكرت وصول الرأس وتعامل يزيد معه بهذا النحو ضعيفة³¹⁸. وقد استدل ابن تيمية على ضعف هذه الرواية: بأن الذين حضروا نكته بالقضيب من الصحابة لم يكونوا بالشام، وإنما كانوا بالعراق³¹⁹، ومما يدل على فساد متن هذه الرواية هو أن متنها مخالف لتلك الروايات الصحيحة، والتي بينت حسن معاملة يزيد لآل الحسين وتألمه وبكائه على قتل الحسين رضي الله عنه³²⁰، وقد قال ابن تيمية: ورأس الحسين إنما حمل إلى ابن زياد وهو الذي ضربه بالقضيب كما ثبت في الصحيح³²¹، وأما ما حمله إلى عند يزيد فباطل، وإسناده³²² منقطع، وقد ذهب ابن كثير إلى ذهاب الرأس إلى يزيد فقد قال: وقد اختلف العلماء في رأس الحسين هل سيره ابن زياد إلى الشام أم لا؟ على قولين الأظهر منها أنه

³¹⁶ مواقف المعارضة ص 306 .

³¹⁷ سنن الترمذي (5/659) حسن صحيح غريب .

³¹⁸ المجمع (9/195) فيه انقطاع .

³¹⁹ منهاج السنة (4/557) .

³²⁰ موقف المعارضة في خلافة يزيد ص 308 .

³²¹ منهاج السنة (8/141) .

³²² المصدر نفسه (8/142) .



سَيَّرَهُ إِلَيْهِ،، فقد ورد في ذلك آثار كثيرة والله أعلم³²³، وهو ما ذهب إليه الذهبي³²⁴

وقد ذكر بأن رأس الحسين مقبور في ستة مدن وهي:

1 - دمشق: ذكر البيهقي في المحاسن والمساوي: أن يزيد أمر بغسل الرأس وجعله في حرير وضرب عليه خيمة ووكل به خمسين رجلاً³²⁵، وساق ابن عساكر بإسناده عن رباح حاضنة يزيد بن معاوية أن الرأس مكث في خزائن السلاح حتى ولي سليمان، فبعث فجيء به فبقي عظماً فطيبه وكفنه، فلما وصلت المسوذة³²⁶، سألوا عن موضع الرأس ونبشوه فالله أعلم ما صنع به³²⁷، ورواية القصة ((ريا)) هذه ذكرها ابن عساكر ولم يذكر فيها جرحاً، ولا تعديلاً وتكون بذلك مجهولة³²⁸، وبذلك تكون رواية ساقطة لا يعتمد عليها بأي حال من الأحوال³²⁹، وقد أورد الذهبي بإسناده عن أبي كريب قال: كنت فيمن توثب على الوليد بن يزيد بدمشق، فأخذت سفظاً وقلت فيه غنائي، فركبت فرسي، وخرجت من باب توما، قال: ففتحته، فإذا فيه رأس مكتوب عليها، هذا رأس الحسين بن علي، فحفرت فيه بسيفي فدفنته³³⁰؟. وهي رواية ضعيفة جداً³³¹. ومن ناحية أخرى ما هي فائدة يزيد في احتفاظه برأس الحسين وجعله في خزائن سلاحه³³².

2 - كربلاء: لم يقل أحد بأن الرأس في كربلاء إلا الشيعة الإمامية، فإنهم يقولون: بأن الرأس أعيد إلى كربلاء بعد أربعين يوماً من القتل، ودفن بجانب جسد الحسين³³³ رضي الله عنه وهو يوم معروف عندهم يسمون فيه زيارة الأربعين ويكفي أن هذا القول إنما تفرد به الشيعة الإمامية وهم ليس عندهم في ذلك أي دليل إنما أقاويل عارية من الحجة والبرهان وقد أنكر أبو نعيم الفضل بن دكين على من زعم أنه يعرف قبر الحسين رضي الله عنه³³⁴، وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفي أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه³³⁵.

³²³ البداية والنهاية (11/580) .

³²⁴ تاريخ الإسلام (61 - 81) ص 106 .

³²⁵ المحاسن والمساوي ص 84 بدون إسناد .

³²⁶ المسوذة : جنود العباسيون وهو الشعار الذي رفعه العباسيون .

³²⁷ تاريخ ابن عساكر، تراجم النساء نقلًا عن مواقف المعارضة ص 311 .

³²⁸ مواقف المعارضة ص 313 .

³²⁹ المصدر نفسه ص 313 .

³³⁰ السير (3/316) سمط النجوم العوالي (3/86) .

³³¹ مواقف المعارضة ص 313 .

³³² مواقف المعارضة ص 313 .

³³³ المصدر نفسه ص 313 ، نور الأبصار ص 121 .

³³⁴ تاريخ بغداد (1/143 - 144) ترجمة الحسين ص 276 .

³³⁵ البداية والنهاية (11/580) .



3 - الرقة: لقد انفرد سبط ابن الجوزي بإيراد خبر يذكر أن الرأس قبر بالرقة وقال: إن الرأس بمسجد الرقة على الفرات وأنه جيء به بين يدي يزيد بن معاوية قال: لأبعثن إلى آل أبي معيط عن رأس عثمان وكانوا بالرقة، فدفنوه في بعض دورهم ثم دخلت تلك الدار بالمسجد الجامع، وهو إلى جانب سور هناك³³⁶. وهذا خبر مستبعد فالرواية ليست مسنده ثم إن الخبر فيه نكارة واضحة لمخالفته النصوص الصحيحة، والتي ثبت فيها حسن معاملة يزيد لأسرة الحسين وتحسره وندمه على قتله³³⁷، ثم إن سبط ابن الجوزي هذا قال عنه الذهبي: ورأيت له مصنفاً يدل على تشييعه³³⁸.

4 - عسقلان: لقد أنكر جمع من المحققين الخبر القائل بأن رأس الحسين دفن في عسقلان قال القرطبي: وما ذكر أنه في عسقلان فشيء باطل³³⁹، وأنكر بن تيمية وجود الرأس بعسقلان³⁴⁰، وتابعه على ذلك ابن كثير³⁴¹.

5 - القاهرة: يبدو أن اللعبة التي قام بها العبيديون (الفاطميون) قد انطلقت على الكثير من الناس، فبعد أن عزم الصليبيون الاستيلاء على عسقلان سنة تسع وأربعين وخمسمائة خرج الوزير الفاطمي صالح طلائع بن زريك خرج هو وعسكره حفاة إلى الصالحية، فتلقى الرأس ووضع في كيس من الحرير الأخضر على كرسي من الأبنوس وفرش تحته المسك والعنبر والطيب، ودفن في المشهد الحسيني قريباً من خان الخليلي في القبر المعروف. وكان ذلك في يوم الأحد الثامن من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة³⁴²، وقد ذكر الفارقي أن الخليفة الفاطمي نفسه قد خرج وحمل الرأس³⁴³، وذكر الشبلنجي أن الوزير الصالح طلائع افتدى الرأس من الأفرنج ونجح في ذلك بعد تغلبهم على عسقلان وافتداه بمال جزيل³⁴⁴، ولقد حاول بعض المؤرخين أن يؤكدوا على أن الرأس قد نقل فعلاً من عسقلان إلى مصر، وأن المشهد الحسيني في مصر إنما هو حقيقة مبني على رأس الحسين رضي الله عنه³⁴⁵ وقد أثبت أحد المتأخرين وهو حسين محمد يوسف بأن الرأس الموجود في المشهد الحسيني هو حقيقة رأس الحسين وخطأ من يقول بغير ذلك وكان الاستدلال الذي جاء به: هي تلك المنامات والكشوفات

³³⁶ شخصيات إسلامية (3/298) للعقاد ، مواقف المعارضة ص 314 .

³³⁷ مواقف المعارضة ص 314 .

³³⁸ السير (23/297) .

³³⁹ التذكرة (2/295) .

³⁴⁰ تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص 264 .

³⁴¹ البداية والنهاية (11/582) .

³⁴² المقريز (1/427) ، بدائع الزهور (1/227) .

³⁴³ تاريخ ميارفين ص 70 .

³⁴⁴ نور البصائر ص 121 ، مشاهد الصفا ص 316 مواقف المعارضة ص 316 .

³⁴⁵ مواقف المعارضة ص 317 .



التي تجلت لبعض الصوفية والتي جاء في تلك المنامات أن الرأس هو في الحقيقة رأس الحسين ثم أورد تأييداً لهذا القول، باستحداث قاعدة قال فيها: أن الرأس يوجد في القاهرة وذلك بسبب الشك الذي تعارض مع اليقين، واليقين هم أصحاب الكشف³⁴⁶. وهذا الاستدلال لا يخضع إلى عقل أو منطق أو حجة علمية، أو برهان علمي - فضلاً عن قواعد المنهج الإسلامي في الاستدلال إن الاستدلال على وجود رأس الحسين في القاهرة كان مبنياً على استناده بأن الرأس كان في عسقلان، وقد أثبتنا قبل قليل بطلان وجود الرأس بعسقلان، وبالتالي يكون الرأس الذي حمل إلى القاهرة، والمشهد المعروف اليوم والمقام عليه والمسمى بالمشهد الحسيني هو كذب، وليس له علاقة برأس الحسين رضي الله عنه وإذا ثبت أن الرأس الذي كان مدفوناً بعسقلان هو ليس في الحقيقة برأس الحسين، فإذا متى ادّعي أن رأس الحسين بعسقلان وإلى من يعود ذلك الرأس؟ يقول النويري: أن رجلاً رأى في منامه، وهو بعسقلان أن رأس الحسين في مكان بها، عُيّن له في منامه، فنبش ذلك الموضع، وذلك في أيام المستنصر بالله العبيدي صاحب مصر، ووزارة بدر الجمالي، فابتني له بدر الجمالي مشهداً بعسقلان³⁴⁷، وقام الأفضل بعد ذلك بإخراجه وعطره ووضع في مكان آخر من عسقلان وابتني عليه مشهداً كبيراً³⁴⁸، ولعلك تعجب من إسراع العبيديين لأقامة المشهد على هذا الرأس، لمجرد رؤية رجل فقط؟ ولكن إذا عرفت تاريخ العبيديين فإن الأمر لا يستغرب لهذا الحد، فإحاسهم بأن الناس لا يصدقون نسبتهم إلى الحسين، جعلهم يلجؤون إلى تغطية هذا الجانب، باستحداث وجود رأس الحسين بعسقلان، ويظهروا من الاهتمام به وبناء المشهد عليه والإنفاق على ترميمه وتحسينه من الأموال الشيء الكثير حتى يصدقهم الناس، ويقولون: إنه لو لم يكن لهم نسب فيه لما اهتموا به إلى هذا الحد؟ ثم إن هناك بعداً سياسياً آخر باستحداث وادعاء وجود رأس الحسين بعسقلان دون غيرها من المناطق التي تقع تحت سيطرتهم وهو محاولة مجابهة الدويلات السنوية التي قامت في بلاد الشام، ومن المعروف أن حكومة المنتصر بالله العبيدي قد صادفت قيام دولة السلاجقة السنوية التي تمكن قائدها طغرل بك السلجوقي من دخول بغداد سنة سبع وأربعين وأربعمائة³⁴⁹. ومما يدل على أن استحداث وجود رأس الحسين بعسقلان ونقله إلى مصر ما هو إلا خطة عبيدية، هو أنه لم يرد بأن رأس الحسين وجد في عسقلان في أي كتاب قبل ولاية المنتصر الفاطمي. وهذا مما يعزز كذب العبيديين وتحقيق أغراض خاصة لهم بذلك³⁵⁰.

³⁴⁶ الحسين سيد شباب أهل الجنة ص 149 - 153 .

³⁴⁷ نهاية الأرب (20/478) .

³⁴⁸ انعاظ الحنفاء (3/22) للمقريزي .

³⁴⁹ النجوم الزاهرة (5/57)

³⁵⁰ مواقف المعارضة ص 319 .



وقد ذكر ابن تيمية أن هذا الرأس المزعوم بأنه رأس الحسين ليس في الأصل سوى رأس راهب³⁵¹. وقد نقل ابن دحية في كتابه ((العلم المشهور)) الإجماع على كذب وجود الرأس بعسقلان أو بمصر، ونقل الإجماع أيضاً على كذب المشهد الحسيني الموجود في القاهرة وذكر أنه من وضع العبيدين ولأنه لأغراض فاسدة وضعوا ذلك المشهد وقد أزال الله تلك الدولة وعاقبها بنقيض قصدها³⁵². وقد أنكر وجود الرأس في مصر كل من: ابن دقيق العيد، وأبو محمد بن خلف الدمياطي، أبو محمد بن القسطلاني، وأبو عبد الله القرطبي وغيرهم³⁵³. وقال ابن كثير: وادعت الطائفة المسماة بالفاطميين الذين ملكوا مصر قبل سنة أربعمئة إلى سنة ستين وخمسائة أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور بمصر، الذي يقال له تاج الحسين، بعد سنة خمسائة، وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما ادعوه من النسب الشريف، وهم في ذلك كذبة خونة، وقد نص على ذلك القاضي الباقلاني وغير واحد من أئمة العلماء في دولتهم، قلت: والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا، فإنهم جاءوا برأس فوضعه في مكان هذا المسجد المذكور، وقالوا هذا رأس الحسين، فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك والله أعلم³⁵⁴.

6 - المدينة النبوية: إن المدن التي مرّ ذكرها لم يثبت لدينا أدنى دليل على وجود الرأس بها، ولم يبق أمامنا سوى المدينة، فقد ذكر ابن سعد بإسناد جمعي: أن يزيد بعث بالرأس إلى عمرو بن سعيد والي المدينة، فكفنه ودفنه بالبقيع إلى حيث قبر أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم³⁵⁵، وقال ابن تيمية: ثم إن دفنه بالبقيع: هو الذي تشهد له عادة القوم فإنهم كانوا في الفتن، إذا قتل الرجل منهم، - لم يكن منهم - سلموا رأسه وبدنه إلى أهله كما فعل الحجاج بابن الزبير لما قتله وصلبه، ثم سلموه إلى أهله، وقد علم أن سعي الحجاج في قتل ابن الزبير، وأن ما كان بينهما من الحروب أعظم بكثير مما كان بين الحسين وبين خصومه³⁵⁶. كما أننا لا نجد انتقاداً واحداً انتقد فيه يزيد سواً من آل البيت أو من الصحابة أو من التابعين فيما يتعلق بتعامله مع الرأس، فظني أن يزيد لو أنه تعامل مع الرأس كما تزعم بعض الروايات من الطوفان به بين المدن والتشهير برأسه، لتصرف الصحابة والتابعين تصرفاً آخر على أثر هذا الفعل، ولما رفض كبارهم الخروج عليه يوم الحرة

³⁵¹ رأس الحسين ص 187 نقلًا عن مواقف المعارضة ص 320 .

³⁵² رأس الحسين ص 186 مواقف المعارضة ص 320 .

³⁵³ المصدر السابق ص 186 ، 187 .

³⁵⁴ البداية والنهاية (11/582) .

³⁵⁵ الطبقات (5/238) ، تاريخ الإسلام ص 20 حوادث (60 - 81هـ) .

³⁵⁶ رأس الحسين ص 183 .



ولرأيانهم ينضمون مع ابن الزبير المعارض الرئيسي ليزيد³⁵⁷، ويؤيد هذا الرأي قول الحافظ أبو يعلي الهمداني: إن الرأس قبر عند أمه فاطمة رضي الله عنهما وهو أصح ما قيل في ذلك³⁵⁸، وهو ما ذهب إليه علماء النسب مثل الزبير بن بكار ومحمد بن الحسن المخزومي³⁵⁹، وذكر ابن أبي المعالي أسعد بن عمار في كتابه ((الفاصل بين الصدق، والمين في مقرر رأس الحسين)) أن جمعاً من العلماء الثقات كابن أبي الدنيا وأبي المؤيد الخوارزمي، وأبي الفرج بن الجوزي قد أكدوا أن الرأس مقبور في البقيع بالمدينة³⁶⁰، وتابعهم على ذلك القرطبي³⁶¹، وقال الزرقاني: قال ابن دحية ولا يصح غيره³⁶²، وابن تيمية يميل إلى أن الرأس قد بعث به يزيد إلى واليه على المدينة عمر بن سعيد وطلب منه أن يقبره بجانب أمه فاطمة رضي الله عنها والذي جعل ابن تيمية برأي ذلك هو: أن الذي ذكر أن الرأس نقل إلى المدينة هم من العلماء والمؤرخين الذين يعتمد عليهم مثل الزبير بن بكار، صاحب كتاب الأنساب، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي صاحب الطبقات ونحوهما من المعروفين بالعلم والثقة والاطلاع، وهم أعلم بهذا الباب، وأصدق فيما ينقلونه من المجاهيل والكذابين، وبعض أهل التاريخ، المذين لا يوثق بعلمهم، وقد يكون الرجل صادقاً، ولكن لا خبرة له بالأسانيد، حتى يميز بين المقبول والمردود أو يكون سيء الحفظ أو متهماً بالكذب أو بالتزوير في الرواية، كحال كثير من الأخباريين والمؤرخين³⁶³.

وقال أبو عمر عبد الله بن محمد الحمادي: وهكذا اختلفوا في موقع رأس الحسين على ثلاثة أماكن وكل واحد منهم يريد أن يكون الرأس عنده حتى تكثر الزيارات فيكثر رمي الأموال على القبر ليتقاسمه السيدنة، وحرّاس القبور وبهذا الاختلاف جعلوا للحسين ثلاثة رؤوس ومعلوم يقيناً أنه كان رضي الله عنه له رأس واحد³⁶⁴. ومن خلال البحث، فإنه يتضح أن جسد الحسين رضي الله عنه بكرلاء وأما رأسه بالبقيع في المدينة والله أعلم.

ثالثاً : تقديس أضرحة الأئمة وزيارة قبر الحسين رضي الله عنه عند الشيعة:

بالغ الشيعة في تعظيم مراقد الأئمة ومنحوها من القداسة والشرف ما لم تحظ به الكعبة المشرفة والمدينة المنورة، فقد نسبوا زوراً وبهتاناً إلى علي

³⁵⁷ مواقف المعارضة ص 323 .

³⁵⁸ التذكرة (2/295) .

³⁵⁹ التذكرة للقرطبي (2/295) .

³⁶⁰ الرد على المنعصب العنيد نقلاً عن مواقف المعارضة ص 323 .

³⁶¹ التذكرة (2/295) مواقف المعارضة ص 324 .

³⁶² مشاهد الصفا ورقة 10 نقلاً عن مواقف المعارضة ص 324 .

³⁶³ رأس الحسين ص 170 .

³⁶⁴ شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور ص 127 .



بن الحسين أنه قال: اتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام وقدسها وبارك عليها، فما زالت قبل خلق الله الخلق - مقدسة مباركة ولاتزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرض الجنة وأفضل منزل ومسكن يسكن فيه أولياؤه في الجنة³⁶⁵ - كما نسبوا إلى جعفر الصادق وهو بريء مما نسبوا إليه -: أن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بُني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه، فأوحى الله إليها: أن كفي وقري ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك ولولا ما تضمنه أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستتكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم³⁶⁶. وهذه البقعة بالطبع لم تنل ما نالت إلا بكونها في معتقدهم مدفن الحسين رضي الله عنه: وقد جرت على السنة الشعراء وأقلام الكتاب من بعد الواقعة وإلى يومنا هذا المقارنة بينها وبين الكعبة وتفننوا بمختلف أساليب النثر والنظم في إثبات فضلها وقداستها وشرفها واستطالة أرضها على جميع الأقطار بالفضل والشرف، وهذه الأرض المباركة لم تنل هذا الشرف العظيم في الإسلام إلا بالحسين رضي الله عنه كما نص عليه الحديث: وزادها في تواضعها وشكرها لله بالحسين (ع) وأصحابه³⁶⁷، وبناء على غلوهم واعتقادهم في الأئمة - والتي قد مرّ بيان معتقدتهم في ذلك في كتابي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - ولأجل ربط الناس بأضرحتهم ومشاهدتهم، وضعوا الفضائل الكبيرة والأجور الكثيرة لمن زار تلك المشاهد، ومع الكثرة الكاثرة من النصوص في هذا الجانب والتي تتفاوت فيها الأجور والمقارنة بين زيارة كربلاء والحج والعمرة لبيت الله الحرام، فإنني³⁶⁸ سأقتصر على نصين فقط لإحتوائهما على معظم تلك النصوص وتصوير مدى الكذب والافتراء عند القوم واستخفافهم بعقول اتباعهم وجرأتهم على الله عز وجل فيما نسبوه إلى أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً وانقطعت أنفسهم عليه حسرات قلت: وما فيه؟ قال من زاره تشوقاً إليه كتب الله له ألف حجة متقبلة وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة وثواب ألف نسخة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنته من كل أفة أهونها الشيطان، وكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وفوق رأسه وتحت قدمه،

³⁶⁵ بحار الأنوار (101/107)، أصول مذهب الشيعة .

³⁶⁶ كامل الزيارات ص(270) بحار الأنوار (101/109)، أصول مذهب الشيعة (2/464) .

³⁶⁷ أصول مذهب الشيعة (2/464) .

³⁶⁸ تاريخ كربلاء ص 102، القبورية في اليمن ص 155 .



فإن مات من سنته حضرته ملائكة الرحمن يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار ويفسح له في قبره مد بصره ويؤمنه الله من ضغطة القبر ومن منكر ونكير يروعانه، ويفتح له باب إلى الجنة ويعطى كتابه بيمينه، ويعطى له يوم القيامة نور يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي مناد هذا من زوار الحسين شوقاً إليه، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنى يومئذ أنه كان من زوار الحسين عليه السلام³⁶⁹. وقد سوَّغ هذه المبالغات أحد أئمتهم بذكر فضائلهم وما أعطوا من صفات فوق مستوى البشر فقال: إن هذا ليس بكثير على من جعله الله إماماً للمؤمنين، وله خلق السماوات والأرضين، وجعله صراطه وسبيله وعينه ودليله وپابه الذي يؤتي منه وجعله المتصل بينه وبين عباده من رسل وأنبياء وحجج وأولياء، هذا مع أن مقابرهم رضي الله عنهم فيها أيضاً إنفاق أموال ورجاء آمال وأشخاص أبدان وهجران أوطان وتحمل مشاق، وتجديد ميثاق، وشهود شعائر وحضور مشاعر³⁷⁰. ومبالغة في تقديس تلك القبور جعلوا لها مناسك خاصة بها وهذه المناسك ليست خاصة بقبر الحسين فقط، بل إنها عامة بجميع مشاهد أئمتهم³⁷¹، وقد قال آغا بزرك الطهراني أحد شيوخ الشيعة، أن ما صنفه شيوخهم في المزار، ومناسكه قد بلغ ستين كتاباً³⁷²، وإليك منسكاً من تلك المناسك التي يؤدونها عند المشاهد باختصار: قال الصادق عليه السلام: إذا أردت المسير إلى قبر الحسين عليه السلام فضم يوم الأربعاء والخميس والجمعة، فإذا أردت الخروج فاجمع أهلك وولدك وادع بدعاء السفر، واغتسل قبل خروجك، وقل حين تغتسل كذا، وكذا، فإذا خرجت فقل كذا وكذا، ولا تدهن ولا تكتحل حتى تأتي الفرات، وأقل من الكلام والمزاح، وأكثر من ذكر الله تعالى، وإياك والمزاح والخصومة، فإذا كنت راكباً أو ماشياً.. فإذا خفت شيئاً فقل.. فإذا أتيت الفرات فقل قبل أن تعبره... ثم أعب الفرات.. ثم تفصيل إلى أن يقول واصنع هذه المناسك... ثم ضع خدك على القبر ((قبر علي بن الحسين)) وقل... ثم تدور من خلف الحسين عليه السلام إلى عند رأسه وصل عند رأسه ركعتين.. ثم تنكب على القبر وتقول.. ثم تخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء وتوميء إليهم أجمعين³⁷³ إلى غير ذلك من تفاصيل لبعض ما يفعلون عند المشاهد من طواف بها واستقبال لها حال الصلاة وغير ذلك أثرت تركها اختصاراً³⁷⁴، وانظر بعضها في أصول مذهب الشيعة³⁷⁵، كما أن الشيعة تعتقد أن بناء الأضرحة والقباب على

³⁶⁹ ووسائل الشيعة (1/353) بواسطة أصول مذهب الشيعة (2/456) ..

³⁷⁰ قائل ذلك الفيض الكاشاني (2/254) القبورية في اليمن ص 156 .

³⁷¹ القبورية في اليمن ص 157 .

³⁷² الذريعة إلى تصانيف الشيعة نقلاً عن أصول الشيعة (2/467) .

³⁷³ تاريخ كربلاء ص 129 - 131 القبورية في اليمن ص 158 .

³⁷⁴ القبورية في اليمن ص 158 .

³⁷⁵ أصول مذهب الشيعة (2/467 - 477) .



مراقد الأنبياء والأئمة – والشخصيات الإسلامية من أفضل المقربات لله سبحانه وتعالى، وإليك الرد على كل من:

1 - قدسية كربلاء:

لا يوجد نص في كتاب الله ولا صح شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين أو علماء الأمة في خير القرون يدل على قدسية كربلاء أو الفضائل المزعومة لها وغيرها كالنجف وما يسمى بالعتبات المقدسة، وأما الذي جاء في كتاب الله وسنة رسوله من قدسية وفضائل فهي، المسجد الحرام، والمشاعر المقدسة داخل المسجد الحرام وخارجه، كالكعبة، ومقام إبراهيم، بئر زمزم، الصفا والمروة، منى، رحاب عرفات، رحاب مزدلفة والمسجد النبوي وفضل الصلاة فيه، وفضل ما بين بيت الرسول ومنبره، وجواز شد الرحل إليه، وإلى المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وفضائل المدينة، وفضائل مسجد قباء، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة للمدينة، وجود البركة في صاع أهل المدينة والبقاء بها، تحريم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة وتحريم صيدها وشجرها، فضل وادي العقيق وبركته وفضائل المسجد الأقصى وبركاته، فضل الصلاة فيه، جواز شد الرحل إليه، وجود البركة حوله، وأنه ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام، الإسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم، وجاءت الآيات والأحاديث في فضل سائر المساجد وبيوت الله عز وجل، فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كون المساجد بيوت الله في الأرض، وفضل السعي إلى المساجد وملازمتها وفضل بناءها³⁷⁶.. ألخ أما ما نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدسية كربلاء وفضائلها فإنه لا يصح في ذلك، وهذا يجري حكمه على البلاد والمقابر والقبور والأضرحة مما يزعم الشيعة أو جهال السنة.

2 - هدي الإسلام في زيارة القبور:

كما هو في سائر شرائع الإسلام أنها تكون في غاية من الاعتدال والسماحة، وصادرة عن حكمة بالغة تضمن لمن عمل بها على بصيرة الفوز، والنجاح، والسعادة، دون أن يتعرض بسببها لأي نوع من أنواع الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة، كذلك كانت شرعية زيارة القبور في الإسلام حينما كان الناس حدثاء عهد بالكفر والشرك وعبادة غير الله نهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن الزيارة حتى يكون هناك برزخ فاصل بين العهدين عهد الشرك وعهد التوحيد، وعهد الجاهلية، وعهد الإسلام حتى يذهب ما في النفوس من الإلتفات إلى الأرض وما عليها مما يقدره الناس، وعهد السموّ الروحي والصفاء القلبي والذهني الذي لا يبقى معه إلتفات إلى غير الله عز

³⁷⁶ من قتل الحسين ص 113 .



وجل³⁷⁷، وفعلاً حينما حصل ذلك، خاطب النبي صلى الله عليه وسلم أمته قائلاً: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها³⁷⁸ فإنها تذكّر الموت. وفي رواية: فإن في زيارتها تذكّرة، وفي أخرى: فإنها تذكّر الآخرة³⁷⁹، وفي ثالثة: ((فزوروها ولتزدكم زيارتها خيراً³⁸⁰، وفي رواية رابعة: فإن فيها عبرة³⁸¹، ومن حديث أنس رضي الله عنه: ثم بدا لي أنها تُرِقُّ القلب وتُدَمِّع العين وتُذَكِّر الموت، والدار الآخرة، وتزهد في الدنيا، وترق القلب وتدمع العين، وينبغي أن يحرص الزائر أن يزيد زيارته للمقابر خيراً، وهذا كله فيما يخص الزائر³⁸²، وأما الأموات فإن لهم فيها نصيب أيضاً حيث كان صلى الله عليه وسلم إذا زارهم الله عنها قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنما إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد³⁸³. ففي هذه الأحاديث بيان أن من مقاصد الزيارة وعللها السلام على الأموات والدعاء والاستغفار لهم، قال الإمام الصنعاني - في سبل السلام - بعد ما شرح أحاديث الإذن بالزيارة: والكل دالٌّ على مشروعية زيارة القبور وبيان الحكمة فيها وأنها للاعتبار.. فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعاً³⁸⁴. فهذه هي زيارة القبور في هدي الإسلام كما علمهم إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أتى بها على هذا الوجه ولهذه الغاية ظفر بالأجر والفائدة المترتبة عليها، ومن زارها لغير ذلك فهي ردٌّ عليه. ثم إنها إما أن تكون بدعية وإما أن تكون شركية بحسب ما يحصل فيها من أعمال ويقارنها من اعتقاد وقصد ذلك هو هدي الإسلام في زيارة القبور، وتلك هي أهداف وغايات الزيارة واضحة ناصعة بعيدة عن كل ذريعة تؤدي إلى الشرك بأربابها والغلو في أصحابها، وقد جاءت بعض القيود التي تسد الثغرات الموصلة إلى ذلك³⁸⁵.

القيد الأول: ألا تتخذ أعياداً، قال صلى الله عليه وسلم: لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم³⁸⁶. فليس من هدي الإسلام تعيين يوم معين من سنة أو شهر، أو أسبوع يخصص لزيارة القبور كما هو شأن³⁸⁷ بعض الناس.

³⁷⁷ القبورية في اليمن ص 73 .

³⁷⁸ مسلم ، ك الجنائز ، شرح النووي على صحيح مسلم (7/46) .

³⁷⁹ المصدر نفسه (7/46) .

³⁸⁰ سنن الترمذي (3/361) صححه الألباني في صحيحه (1/307) .

³⁸¹ مسند أحمد (17/249) حديث صحيح . مؤسسة الرسالة .

³⁸² القبورية في اليمن ص 74 .

³⁸³ مسلم مع شرح النووي (7/40 - 41) ك الجنائز .

³⁸⁴ سبل السلام شرح بلوغ المرام (2/230 - 231) .

³⁸⁵ القبورية في اليمن ص 75 .

³⁸⁶ مسند أبي يعلى (1/361) رقم 469 صحيح بشواهده وطرقه حسنة .

³⁸⁷ القبورية في اليمن ص 75 .



القيد الثاني: ألا تُشَدَّ إليها الرحال، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدي³⁸⁸. فهذا النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة مقصود به أن يشد رحله مسافراً إلى مكان بعينه لعبادة الله تعالى فيه³⁸⁹، ولم يثبت أن أحداً من الصحابة أو التابعين، أو علماء أتباع التابعين سافر إلى قبر، أو مشهد لمجرد الزيارة، ولم يصرح أحد منهم باستحباب ذلك العمل³⁹⁰، وقال العلامة صديق حسن خان في كتابه السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم ابن الحجاج وبعد إيراد مختلف الأقوال ومناقشتها قال: وأما السفر لغير زيارة القبور كما تقدم نظائره، فقد ثبت بأدلة صحيحة، ووقع في عصره صلى الله عليه وسلم وقرره النبي صلى الله عليه وسلم فلا سبيل إلى المنع منه والنهي عنه، بخلاف السفر إلى زيارة القبور فإنه لم يقع في زمنه ولم يقر أحداً من أصحابه، ولم يشر في حديث واحد إلى فعله واختياره ولم يشرعه لأحد من أمته لا قولاً ولا فعلاً³⁹¹.

3 - البناء على القبور واتخاذها مساجد:

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عن البناء على القبور وتعظيمها بأي نوع من أنواع التعظيم، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه لا يفعل ذلك إلا شرار الخلق عند الله تعالى، فعن جندب بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس يقول:... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك³⁹²، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وأن يقعد عليه وبينى عليه³⁹³. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد³⁹⁴. ففي هذه الأحاديث التي مرت النهي الصريح عن أي نوع من أنواع التعظيم للقبور ومن ذلك، النهي عن اتخاذها مساجد، والنهي عن مجرد البناء عليها، وعن تجسيصها، والكتابة عليها، وقد توجه النهي أول ما توجه إلى قبور الأنبياء والصالحين، لماذا؟ لأنها هي التي يخشى الغلو في أربابها عكس قبور سائر الناس، والفتنة لها أعظم من غيرها. وهذا هو الواقع

³⁸⁸ مسلم مع شرح النووي (9/104 - 106).

³⁸⁹ القبورية في اليمن ص 76.

³⁹⁰ المصدر نفسه ص 77.

³⁹¹ السراج الوهاج (5/116) القبورية في اليمن ص 77.

³⁹² شرح النووي على مسلم (5/13).

³⁹³ شرح النووي (7/37).

³⁹⁴ المصدر نفسه.



المشاهد فإنه ما من مشهد إلا ويزعم أنه بني على ولي صالح، ذي مناقب وكرامات عظيمة يرجى نفعه ويخاف انتقامه، أو يزعم أنه على نبي من أنبياء الله كما ظهر ذلك تخميناً في أماكن كثيرة من بلاد الله، ولكثير من الأنبياء مع تصريح العلماء أنه لا يُعلم على التحقيق واليقين إلا قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وزاد بعضهم قبر الخليل عليه في الموضع المشهور باسمه في فلسطين³⁹⁵. وقد قال النووي في تعليقه على حديث رسول الله السابق: قال العلماء: إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه، والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها، ومدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بنوا على القبر حيطاناً مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد، فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث. ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً. والله أعلم بالصواب³⁹⁶، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور المشرفة مع قرن ذلك بطمس التماثيل، فعن أبي الهيثج الأسدي - رحمه الله - قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تماثلاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته³⁹⁷. فهذا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يبعث رئيس شرطته أبا الهيثج الأسدي لطمس القبور كما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أنه يطبق ما عرفه وفهمه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك³⁹⁸. وقد صرح العلماء بخلو القرون المفضلة من وجود المشاهد قال ابن تيمية وهو يتكلم عن مشهد رأس الحسين رضي الله عنه: ... دع خلافة بني العباس في أوائلها وفي حال استقامتها فإنهم حينئذ في قوتهم وعنفوانهم ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام والعراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب ولم يكن قد أحدث مشهد لا على قبر نبي ولا صاحب ولا من أهل البيت وصالح أصلاً، بل عامة هذه المشاهد محدثة، بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة وكثر فيهم الزنادقة والملبسون على المسلمين وفشت فيهم كلمة أهل البدع وذلك في

³⁹⁵ الفتاوى (27/140).

³⁹⁶ شرح النووي على مسلم (5/12 - 13).

³⁹⁷ شرح النووي على مسلم (7/36).

³⁹⁸ القبورية في اليمن ص 54.



دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القذاحية بأرض المغرب ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر وقريباً من ذلك ظهر بنو بويه في كثير منهم زندقة وبدع قوية، وفي دولتهم قوي بنو القذاح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي رضي الله عنه بناحية النجف، وإلا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول إن قبر علي هناك وإنما دفن علي رضي الله عنه بقصر الإمارة بالكوفة، وإنما ذكروا أن بعضهم حكى عن الرشيد أنه جاء إلى بقعة هناك وجعل يعتذر إلى المدفون فيها، فقالوا إنه علي وأنه اعتذر إليه مما فعل بولده، فقالوا هذا قبر علي، وقد قال قوم إنه قبر المغيرة بن شعبة³⁹⁹ . ويقول الذهبي في ترجمة عضد الدولة البويهى: وكان شيعياً جلدأ أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي وبنى عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتم عاشوراء والاعتزال ثم قال: وبه ختم ترجمة عضد الدولة: قلت: فنحمد الله على العافية فلقد جرى على الإسلام في المائة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالدولة البويهية بالمشرق وبالأعراب القرامطة فالأمر لله تعالى⁴⁰⁰ . وقال ابن كثير في حوادث سنة 347هـ: وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابه من بني بويه وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصرأً وشامأً وعراقاً وخراسان وغير ذلك من البلاد كانوا رفضاً وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، وكثر السب والتكفير منهم للصحابه⁴⁰¹ . ويؤيده كذلك ما ذكره السمهودي - رحمه الله - في كتابه وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، وهو يتحدث عن قبر فاطمة رضي الله عنها قال: وإنما أوجب عدم العلم بعين قبر فاطمة رضي الله عنها وغيرها من السلف ما كنوا عليه من عدم البناء على القبور وتجسيصها⁴⁰² . وقال الشافعي - رحمه الله : ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة، قال الراوي عن طاووس : ((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن تبنى القبور أو تجصص - قال الشافعي: وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك⁴⁰³ . إن الحقيقة التاريخية تقول أن القرون الثلاثة المفضلة مضت وليس هناك قبور معظمة ولا مشاهد أو قباب ولا غيرها من مظاهر القبورية، ولا شيء من طقوس ومراسيم العبادات القبورية، وما حاول فعله الشيعة من ذلك فقد جُوبه بردد قوي من خلفاء المسلمين وأمرائهم، كأبي جعفر المنصور العباسي، وهارون الرشيد⁴⁰⁴ .

³⁹⁹ الفتاوى (27/245) .

⁴⁰⁰ سير أعلام النبلاء (16/250 - 252) .

⁴⁰¹ البداية والنهاية (11/233) نقلاً عن القبورية في اليمن ص 118 .

⁴⁰² وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (3/906) .

⁴⁰³ الأم للشافعي نقلاً عن القبورية في اليمن ص 119 .

⁴⁰⁴ القبورية في اليمن ص 132 ، 133 .



رابعاً : خروج الحسين رضي الله عنه في الميزان الشرعي:

إن عدم التمعن في معارضة الحسين ليزيد، والتأمل في دراسة الروايات التاريخية الخاصة بهذه الحادثة، قد جعلت البعض يجنح إلى اعتبار الحسين خارجاً على الإمام، وأن ما أصابه كان جزاءً عادلاً وذلك وفق ما ثبت من نصوص نبوية تدين الخروج على الولاة، فقد صلى الله عليه وسلم: من أراد أن يفرق بين المسلمين وهم جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان⁴⁰⁵. قال السيوطي: أي فاضربوه شريفاً أو وضيعاً على إفادة معنى العموم⁴⁰⁶. وقال النووي معلقاً على هذا الحديث: الأمر بقتال من خرج على الإمام أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك وينهي عن ذلك فإن لم ينته قوتل، وإن لم يندفع شره إلا بالقتل قتل وكان دمه هدراً⁴⁰⁷، وفي الحديث وغيره من الأحاديث المشابهة له جاء تأكيد النبي صلى الله عليه وسلم على أن الخارج على سلطان المسلمين يكون جزاؤه القتل، وذلك لأنه جاء ليفرق كلمة المسلمين، والتعلق المبدئي بهذه النصوص جعلت الكثير يظنون أنا أبا بكر بن العربي يقول: إن الحسين قتل بسيف جده صلى الله عليه وسلم⁴⁰⁸. وإن الجمود على هذه الأحاديث جعلت الكرامية مثلاً يقولون: إن الحسين رضي الله عنه باغ على يزيد، فيصدق بحقه من جزاء وقتل⁴⁰⁹. وأما البعض فقد ذهبوا إلى تجويز خروج الحسين رضي الله عنه واعتبر عمله هذا مشروعاً، وجعلوا المستند في ذلك إلى أفضلية الحسين وإلى عدم التكافؤ مع يزيد⁴¹⁰، وأما البعض فقد جعل خروج الحسين خروجاً شرعياً بسبب ظهور المنكرات من يزيد⁴¹¹. ولكن إذا أتينا لتحليل مخرج الحسين رضي الله عنه ومقتله، نجد أن الأمر ليس كما ذهب إليه هؤلاء ولا هؤلاء، فالحسين لم يبايع يزيد أصلاً، واعترض على فكرة التوريث دفاعاً عن الشورى ومبادئ الإسلام الداعمة لحق الأمة في اختيار من تريد وخرج معه إلى مكة عبد الله بن الزبير وذهباً لأجل جمع الأتباع وحث المسلمين على الوقوف في وجه الانحراف الذي أحدث في نظام الحكم وقلبه من الشورى إلى الوراثة، واستنهض الهمم لتصحيح هذا الخلل الذي استجد في عالم الإسلام وبدأت رحلة الحسين لجمع الأتباع والأنصار نحو التصحيح وإعادة نظام الشورى ومنهاج الخلافة الراشدة

⁴⁰⁵ شرح النووي على صحيح مسلم (12/241).

⁴⁰⁶ عقد الزبرجد للسيوطي (1/264).

⁴⁰⁷ شرح النووي على صحيح مسلم (12/241).

⁴⁰⁸ العواصم من القواصم ص 244 - 245.

⁴⁰⁹ نيل الأوطار (7/362).

⁴¹⁰ المصدر نفسه (7/362).

⁴¹¹ الدرّة فيما يجب اعتقاده ص 376، المقدمة (1/271).



والمبادئ الكريمة، لا كما يزعم البعض من كونه خرج طمعاً في الحكم والسلطة لأنه ينبغي أن تكون فيه وفي ذريته. بتلك النظرة فيها بخس للحسين ومنهجه ولأهل البيت ومنهج القرآن وهدى جده عليه الصلاة والسلام⁴¹².

إن القول بنظرية النص في علي وذريته قول باطل ولا توجد أية آثار - صحيحة لنظرية النص في قصة كربلاء - ولا في غيرها - وقد تحدث عن ذلك الأستاذ أحمد الكاتب في كتابه تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه⁴¹³، وقد ناقشت نظرية النص على ولاية علي وذريته وأدله الشيعة في ذلك في كتابي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

إن الحسين رضي الله عنه لم يبايع يزيد بن معاوية وشرع في إعداده العدة ولم يخرج عن تعاليم الإسلام التي تشترط الإعداد الجيد لإزاحة الحاكم الجائر حتى يغلب الظن على القدرة على ذلك، فهو قد أعد القوة كما صورها حتى ظنها كافية لتحقيق غرضه، ولكن حساباته - بلا شك - كانت⁴¹⁴ خاطئة فالحسين لم يقم خطأ شرعي مخالف للنصوص، وخاصة إذا عرفنا أن جزءاً من الأحاديث جاءت مبينة لنوع الخروج، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلاة المكتوبة إلى الصلاة التي بعدها كفارة لما بينهما، والجمعة إلى الجمعة، والشهر إلى الشهر يعني رمضان كفارة لما بينهما قال: ثم قال بعد ذلك: إلا من ثلاث قال: فعرفت أن ذلك الأمر حدث - إلا من الإشراف بالله، ونكت الصفقة، وترك السنة: قال: أما نكت الصفقة: أن تبايع رجلاً ثم تخالف إليه تقاتله بسيفك، وأما ترك السنة فالخروج من الجماعة⁴¹⁵.

والحسين رضي الله عنه ما خرج يريد القتال ولكن ظن أن الناس يطيعونه، فلما رأى انصرافهم عنه، طلب الرجوع إلى وطنه أو الذهاب إلى الثغر، أو إتيان يزيد⁴¹⁶، ولقد تعنت ابن زياد أمام مرونة الحسين وسهولته وكان من الواجب عليه أن يجيبه لأحد مطالبه، ولكن ابن زياد طلب أمراً عظيماً من الحسين، وهو أن ينزل على حكمه، وكان من الطبيعي أن يرفض الحسين هذا الطلب، وحق للحسين أن يرفض ذلك، ذلك لأن النزول على حكم ابن زياد لا يعلم نهايته إلا الله، ولربما كان حكمه فيه القتل، ثم إن هذا العرض إنما كان يعرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الكفار المحاربين أعداء الإسلام، والحسين رضي الله عنه ليس من هذا الصنف بل هو

⁴¹² عمر والحسين، علاء الدين المدرس ص 52.

⁴¹³ تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه ص 18.

⁴¹⁴ الدولة والمجتمع في العصر الأموي ص 165.

⁴¹⁵ مسند أحمد (12/98) إسناد صحيح.

⁴¹⁶ منهاج السنة (4/42).



من أفاضل المسلمين وسيدهم⁴¹⁷، ولهذا قال ابن تيمية: وطلبه أن يستأسر لهم، وهذا لم يكن واجباً عليه⁴¹⁸. والحقيقة أن ابن زياد خالف الوجهة الشرعية والسياسية حين أقدم على قتل الحسين رضي الله عنه⁴¹⁹. فالظالم هو ابن زياد وجيشه الذين قدموا على قتل الحسين رضي الله عنه بعد أن رفضوا ما عرض الحسين من الصلح. ثم إن نصح الصحابة للحسين يجب أن لا يفهم على أنهم يرونه خارجاً على الإمام كما ذهب لذلك يوسف العشي⁴²⁰. بل إن الصحابة رضوان الله عليهم أدركوا خطورة أهل الكوفة على الحسين وعرفوا أن أهل الكوفة كذبة، وقد حملت تعابير نصائحهم هذه المفاهيم⁴²¹. يقول ابن خلدون: فتبين بذلك غلط الحسين، إلا أنه في أمر دنيوي لا يضره الغلط فيه، وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه، لأنه منوط بظنه، وكان ظنه القدرة على ذلك⁴²². وأما الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانوا بالحجاز ومصر والعراق والشام والذين لم يتابعوا الحسين رضوان الله عليه، فلم ينكروا عليه، ولا أئموه، لأنه مجتهد، وهو أسوة للمجتهدين به⁴²³. قال ابن تيمية: وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي يأمر فيها بقتل المفارق للجماعة لم تتناوله، فإنه رضي الله عنه لم يفارق الجماعة، ولم يقتل إلا وهو طالب للرجوع، إلى بلدة، أو إلى الثغر، أو إلى يزيد، داخلياً في الجماعة، معرضاً عن تفريق الأمة، ولو كان طالب ذلك أقل الناس لوجب إجابته إلى ذلك، فكيف لا تجب إجابة الحسين⁴²⁴، ولم يقاتل وهو طالب الولاية، بل قتل بعد أن عرض الانصراف بإحدى ثلاث... بل قتل وهو يدفع الأسر عن نفسه، فقتل مظلوماً⁴²⁵.

خامساً : بعض الرؤى في قصة الحسين رضي الله عنه :

ومن هذه الرؤى المتعلقة بقصة مقتل الحسين رضي الله عنه، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام بنصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه، قلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم قال عمار راوي ذلك الحديث: فحفظنا ذلك فوجدناه قُتِلَ ذلك اليوم⁴²⁶، وهذا سنده صحيح عن ابن عباس⁴²⁷، وروى ابن سعد بأسانيده: قالوا: وأخذ الحسين طريق العُذيب⁴²⁸

⁴¹⁷ مواقف المعارضة ص 329 .

⁴¹⁸ منهاج السنة (4/550) .

⁴¹⁹ مواقف المعارضة ص 329 .

⁴²⁰ الدولة الأموية ص 168 .

⁴²¹ مواقف المعارضة ص 330 .

⁴²² المقدمة (1/271) .

⁴²³ مقدمة ابن خلدون (1/271) .

⁴²⁴ منهاج السنة (4/556) بتصرف .

⁴²⁵ المصدر نفسه (6/340) بتصرف .

⁴²⁶ فضائل الصحابة رقم 1380 إسناده صحيح .

⁴²⁷ حقبة من التاريخ ص 137 .

⁴²⁸ العُذيب : ماء بين القادسية والمغيثة .



حتى نزل قصر أبي مقاتل⁴²⁹، ففحق خفقة، ثم استرجع، وقال: رأيت كأن فارساً يُسائرنا، ويقول: القوم يسرون، والمنايا تُسري إليهم⁴³⁰، وقال بعض الناس أن الحسين رضي الله عنه بني خروجه على يزيد على رؤية رآها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأن رسول الله أمره بأمر وهو ما مض له⁴³¹، وقد اعتمد على المرؤى قوم في أخذهم الأحكام ويقول الشاطبي: وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها فيقولون: رأينا فلاناً الرجل الصالح، فقال لنا: أتركوا كذا واعملوا كذا، ويتفق مثل هذا كثيراً للمتوسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال لي كذا وأمرني بكذا، فيعمل بها ويترك بها، معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ، لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال إلا أن تعرضي على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفادته الأحكام فلا⁴³². وعليه فلا عصمة فيما يراه النائم، بل لا بد من عرضه على الشرع فإن وافقه فالحكم بما استقر، لأن الأحكام ليست موقوفة على ما يرى من المنامات، وإن خالف رد مهما كان حال الرائي أو المرئي، ويحكم على تلك الرؤيا بأنها حلم من الشيطان وأنها كاذبة وأضغاث أحلام⁴³³. ولكن يبقى أن يقال: ما فائدة الرؤيا الموافقة للشريعة، إذا كان الحكم بما استقر عليه الشرع⁴³⁴؟ فائدتها التنبيه والبشرى كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة⁴³⁵، فإن الرجل الصالح قد يرى في النوم ما يؤنسه أو يزعه فيكون ذلك دافعاً له إلى فعل مطلوب أن ترك محظور⁴³⁶.

سادساً : أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بمقتل الحسين رضي الله عنه:

عن أم سلمة قالت: كان جبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم والحسين معي فبكى الحسين فتركته فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فدنى من النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبريل: أتجبه يا محمد؟ فقال:

⁴²⁹ كان بين عين التمر والشم، معجم البلدان (4/364).

⁴³⁰ سير أعلام النبلاء (3/298).

⁴³¹ المصدر نفسه (3/297).

⁴³² الاعتصام (1/260) دراسة في الأهواء والفرق والبدع ص 301.

⁴³³ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (2/687).

⁴³⁴ المصدر نفسه (2/687).

⁴³⁵ البخاري رقم 6990.

⁴³⁶ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (2/687).



نعم. قال: إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها فأراه إياها فإذا الأرض يقال لها كربلاء⁴³⁷، وقد وقع الأمر كذلك بعد مضي سنين طويلة، وهذه معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وأنه رسول الله حقاً وصدقاً، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك عن طريق الوحي⁴³⁸.

سابعاً : انتقام الله من قتلة الحسين رضي الله عنه:

لقد انتقم الله للحسين الشهيد رضي الله عنه من قاتليه وعلى رأسهم عبيد الله بن زياد، ويزيد بن معاوية، وكل من شارك في قتله لم يتسلم، أما عبيد الله بن زياد فقد قتله إبراهيم بن الأشتر وحز رأسه وأرسل به إلى المختار - بن أبي عبيد الله الثقفي يقول بن عبد البر - قتل الحسين - رضي الله عنه - يوم الأحد لعشر مضي من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى وستين... وقضى الله - عز وجل - أن قتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة سبع وستين، قتله إبراهيم بن الأشتر في الحرب، وبعث برأسه إلى المختار، وبعث به المختار إلى ابن الزبير وبعث به ابن الزبير إلى علي بن الحسين⁴³⁹، وقد صحَّ من حديث عمار بن عمير قال: جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه فأتيناهم وهم يقولون: قد جاءت قد جاءت، فإذا حية تخلل الرؤوس حتى دخلت منخر عبيد الله فمكثت هنيئة ثم خرجت وغابت. ثم قالوا: قد جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً⁴⁴⁰. أما يزيد بن معاوية فقد مقته الناس وأبغضوه لمقتل الحسين وثار عليه غير واحد، وثار عليه أهل المدينة النبوية الشريفة، فارتكب جريمة أخرى هي موقعة الحرة بالمدينة فلم يمهل الله تعالى، وكانت دولته أقل من أربع سنين⁴⁴¹، وجاء عن أبي رجاء العطاردي قال: لا تسبوا علياً ولا أحداً من أهل البيت، كان لنا دار من بلهجوم قال: ألم تروا إلى هذا الفاسق الحسين ابن علي قتله الله؟ فرماه الله بكوكبين في عينيه فطمس بصره⁴⁴². قال ابن كثير: وأما ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح، فإنه قلَّ من نجا من أولئك الذين قتلوه من أفة أو عاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض وأكثرهم أصابه الجنون⁴⁴³.

⁴³⁷ فضائل الصحابة رقم 1391 بسند حسن .

⁴³⁸ سير الشهداء ص 244 .

⁴³⁹ الاستيعاب حاشية الإصابة (1/382) .

⁴⁴⁰ سير أعلام النبلاء (3/549) .

⁴⁴¹ الدوحة النبوية ص 129 .

⁴⁴² المعجم الكبير للطبراني (3/119) ورجاله رجال الصحيح .

⁴⁴³ البداية والنهاية نقلًا عن الدوحة النبوية ص 129 .



ثامناً : القوى المضادة للإسلام ومصيبة كربلاء:

نجحت القوى المضادة لدولة الإسلام في حدوث واقعة كربلاء ثم وجدوا فيها الفرصة السانحة لتمزيق الجماعة الإسلامية، وتفريق الكلمة بتحويل النزاع بين المسلمين، فقد كانت الكوفة مجمع شذاذ الناس وأشرارهم مع خيارهم فقد أتى إليها الصحابة، كما أتى النصارى واليهود، وأقبلت القبائل العربية، كما أقبل الموالي وانتشرت الزندقة والسحر وانتشرت الحلقات المتعارضة والمجامع المتنافرة، وشرع اليهود بالكوفة في نشر التلمود، والنصارى كانوا ينادون بتجسيد الألوهية، فأطلت رؤوس مجامعهم السرية مع المراكز المتطفلة الخفية واستغل دم الحسين واعتبروه ذا قيمة في التضحية تشبه دم المسيح عند النصارى، وتسلل إلي نفوس من أسلم من الفرس من هذا الطريق يستثيرونهم ضد الدولة بحجة أن الحسين كان قد تزوج جيهان شاه ابنة يزدجرد أم علي بن الحسين⁴⁴⁴، فارتفعوا بهذه الفاجعة عن مصائب البشر الاعتيادية فشبهوها بمصائب الأنبياء⁴⁴⁵، وتسلفت من خلالها أفكار أهل الكتاب بسهولة.. واعتبروا أن الحسين لم يتألم لما أصاب أهله ونفسه من القتل والإيذاء بل أنه تألم لأن أمة جدّه المسئول عن هدايتها بصفته الإمام والحجة ضلت بحربها إياه⁴⁴⁶، وهذا يذكرنا بفكرة النصارى عن صلب المسيح وتعذيبه - فكان من السهل بذر هذه الفكرة من قبل أهل الكتاب في نفس من أسلم حديثاً، فأقبل الموالي على التشيع ورأوا في الحسين إنساناً روحانياً قدر له الله منذ الأزل أن يفترق الإسلام بدمه ويحفظه بتضحية نفسه فقرن بدور المسيح المخلص⁴⁴⁷... وكان لمستشاري يزيد من النصارى مثل سرجون أثر في تلك الأحاديث الدامية وما ترتب عليها من نكبات ومصائب⁴⁴⁸.

تاسعاً : استشهاد الحسين رضي الله عنه نقطة تحول في التاريخ الفكري والعقدي للتشيع :

يعتبر استشهاد الحسين رضي الله عنه نقطة تحول في التاريخ الفكري والعقدي للتشيع، إذ لم يقتصر أثر هذه الحادثة الأليمة على إذكاء التشيع في نفوس الشيعة وتوحيد صفوفهم بل ترجع أهمية هذه الحادثة إلى أن التشيع كان قبل مقتل الحسين مجرد رأي سياسي لم يصل إلى عقائد الشيعة، فلما قتل الحسين امتزج التشيع بدمائهم وتغلغل في أعماق قلوبهم، وأصبح عقيدة راسخة في نفوسهم⁴⁴⁹ لقد نظر الشيعة إلى استشهاد الحسين على أنه أهم

⁴⁴⁴ فرق الشيعة ص 53 ، الطبقات (5/156) .

⁴⁴⁵ أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ص 491 ، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة ص 54 .

⁴⁴⁶ أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ص 492 .

⁴⁴⁷ المصدر نفسه ص 494 .

⁴⁴⁸ المصدر نفسه ص 494 .

⁴⁴⁹ نظرية الإمامة ص 47 ، مواقف المعارضة ص 338 .



من استشهاد علي بن أبي طالب نفسه، لأن الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم⁴⁵⁰، وقد اعتنق الفرس مبدأ التشيع وبذلك تمركزت العقيدة الشيعية حول الحسين وسلالته دون الحسن وذريته، وإلى اعتناق مبدأ حق الحسين بن علي الإلهي وذريته في الخلافة، وأن الإمامة بالنص لا بالاختيار⁴⁵¹، بل اعتبر الشيعة سفك دم الحسين في سهل كربلاء ذا قيمة في التضحية تشبه سفك دم المسيح المزعومة عند المسيحية⁴⁵²، ولم يقتصر التمايز الفكري والعقدي بين أهل السنة والشيعة بعد مقتل الحسين، بل إن الشيعة أنفسهم قد أثر فيهم مصرع الحسين، وانقسموا على أنفسهم، وافترقوا بعد مقتله إلى فرق⁴⁵³، ولكي يكون لمقتل الحسين أهمية خاصة عند الشيعة فقد أكدوا على أهمية يوم عاشوراء، وتفننوا في إظهار الحزن في ذلك اليوم كما ابتدعوا لفضائل ذلك اليوم من الأحاديث والآثار ما لا يقع عليه الحصر، وقد جعلوا البكاء على الحسين يوم عاشوراء يمسح الذنوب ويغفر ما تقدم منها، مما جعل الاحتفال بيوم عاشوراء واجباً دينياً يقوم به الحكام والمحكومين على السواء ويبالغون في إظهار عواطفهم المذهبية في هذا اليوم الحزين⁴⁵⁴، لقد أراد واضعو التشيع وعقائده التأكيد على يوم عاشوراء⁴⁵⁵ ويكون التشيع عقيدة ملتزمة في نفوس أتباعها وكانت دولهم تهتم بهذا الأمر، كالدولة البويهية بالعراق والدولة العبيدية الفاطمية بمصر⁴⁵⁶، وقد تعرضت لعقائد الشيعة بنوع من التفصيل في كتابي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه .

عاشراً : من دعاء الحسين رضي الله عنه :

دعا الحسين رضي الله عنه بهذا الدعاء قبل المعركة: اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق ويشتمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبة مني إليك عن سواك، ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة⁴⁵⁷. إن الحسين رضي الله عنه يعلمنا حسن الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى والثقة به والتوكل عليه والرغبة إليه فجده صلى الله عليه وسلم، قال: ليس شيء

⁴⁵⁰ الخوارج والشيعة ص 188 فلها وزن مواقف المعارضة ص 339 .

⁴⁵¹ الوثائق السياسية للجزيرة العربية ص 19 - 20 .

⁴⁵² مواقف المعارضة ص 339 ، التاريخ السياسي ، عبد المنعم ماجد (2/77) .

⁴⁵³ فرق الشيعة ص 23 للنوختي ، مواقف المعارضة ص 339 .

⁴⁵⁴ إيران في ظل الإسلام ، عبد المنعم حسنين ص 104 مواقف المعارضة ص 339 .

⁴⁵⁵ مواقف المعارضة ص 340 .

⁴⁵⁶ المصدر نفسه ص 340 .

⁴⁵⁷ تاريخ الطبري (6/350) .



أكرم على الله من الدعاء⁴⁵⁸، وقد تعلم الحسين رضي الله عنه من تعاليم جدّه صلى الله عليه وسلم، بأن الاستعانة لا تكون إلا بالله والشكوى لا تكون إلا إليه سبحانه، فلا يستعين المرء ولا يشكو إلا إلى الله وحده دون غيره من نبي أو إمام أو صالح.. ويعلمنا الحسين رضي الله عنه أن الدعاء لا يصرف إلا لله وحده دون سواه، فهذا الحسين رضي الله عنه لم يدعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أباه علياً، وهو في هذا الموقف العصيب الذي يودع فيه الحياة، بل دعا الله وحده وتوسل إليه فقط وفي هذا يعلمنا الحسين رضي الله عنه منهجاً يجب ألا نحيد عنه، وهو عند الدعاء لحاجة المرء أو طلب رزق أو شفاء مريض أو غيرها عليه أن يدعو الله وحده ولا يشرك في دعائه أحداً كائناً من كان هذا المدعو⁴⁵⁹، فمن أحب الحسين رضي الله عنه فعليه أن يدعو الله كما دعا الحسين رضي الله عنه، ولا يقول يا حسين أو يا علي، فإن دعاء المخلوقين انحراف عظيم عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدى العلماء الربانيين وعلى رأسهم أئمة أهل البيت الأطهار قال الشاعر:

وأفنية الملوك محجبات

وباب الله مبذول الفناء

فما أرجو سواه لكشف ضُرِّي

ولا أفزعُ إلى غير الدعاء⁴⁶⁰

⁴⁵⁸ سنن الترمذي رقم 3370، حسنه الأباقي في صحيح الجامع.

⁴⁵⁹ الحسين بن علي بين الحقائق والأوهام، عبد الرحمن بن عبد الله جميعان ص 56.

⁴⁶⁰ الأخلاق ص 38.